مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد 37، العدد (1)، ص ص 71 - 99، الرياض (2025م/ 1446هـ)

رُبُوبِيَّةُ الطَّبِيعَةِ لَدَى الإِلْحَادِ الجَدِيدِ؛ عَرْضًا وَنَقْضًا

فتح الرحمن يوسف عمر أبو عاقلة[1]

جامعة المجمعة

(قدم للنشر في 02/ 11/ 1446هـ؛ وقبل للنشر في 14/ 01/ 1447هـ)

المستخلص: يعرض البحثُ مبدأ الإلحاد الجديد في صرف رُبوبيّة الخالق إلى الطبيعة، وقد استند على نظريّة التطور والمصادفة والماديّة طرقًا ثلاثةً ليؤسس بها الفعل المطلق للطبيعة، ووفقًا لهدايات الوحي وثوابت العقل ومبادئ الفطرة يبطل البحث ذلك، ويهدف إلى عرض ما قامت عليه ثلاثتُها في سبيل دعمها لهذا الموقف ونقضها، ويهدف إلى بيان بطلان مزاعم الإلحاد الجديد وقواعده في منح خصائص الرُّبوبيّة للطبيعة، وأنّ الطبيعة وحركتَها وسكونَها بيد الله وحده ﷻ، وأنّها لا تصلح سبيلًا لجحود ربوبيته على العالمين، مستندًا على الأدلة الشرعيّة والعقليّة والفطريّة في ذلك، وقد سلك البحث المنهج الوصفيّ الاستقرائيّ والنقديّ، وتوصل إلى أنّ الطبيعةَ عاجزةٌ، ولا قوّة ولا عقل لها، وهي مِنْ خلق الله تعالى الدالِّ على ربوبيته، وأنّ ما يبدو فيها مِنْ سمات ومظاهر للفعل الذي يدعيّه الإلحاد الجديد لا يؤهلها للربوبيّة، وليست مسلكًا لإنكار وجود الله تعالى، وأنّ الإلحاد عجِزَ عنْ تأكيد رُبوبيّة الطبيعة، وقد تحقق بطلان زعمه بالأدلة الشرعيّة والعقلية والفطريّة، ويؤكد البحث على قدرة العقيدة الإسلاميّة على الردّ على أصوله الفلسفيّة وإبطالها، ويُعدُّ البحث مساهمة في التحصين الفكريّ والعقديّ للمسلم المعاصر وقد كثُرت في عصره الشُبهات والشَهوات والانحرافات الفكريّة عبر أوعية التواصل المعرفيّ اليوم.

الكلمات المفتاحية: الطبيعة، الإلحاد الجديد، المصادفة، التّطوّر، الفطرة.

The Lordship Attributed to Nature in New Atheism: Presentation and Refutation

Fath Rahman Yusif Omer Abu Aqala[1]

Majma'ah University

(Received 30/04/2025; accepted for publication 09/07/2025.)

Abstract: This research addresses the principle of New Atheism in diverting the Lordship (Rubūbiyyah) of the Creator—Allah, Glorified and Exalted be He—to nature. It is based on three main approaches—evolution, chance, and materialism—to construct the concept of nature's absolute action. In light of divine revelation, the constants of reason, and the principles of innate disposition (fiṭrah), the research refutes this concept. The study aims to present and refute the theories supporting this position and to affirm the falsehood of New Atheism's claims and its foundational principles in attributing the qualities of Lordship to nature. It confirms that nature—its movement and stillness—is entirely under the control of Allah alone, Glorified and Exalted be He, and that it cannot serve as a means to deny His Lordship over the worlds. Based on evidences from Islamic texts, reason, and innate disposition, the research proves that nature is incapable, lacking both power and intellect. It is a creation of Allah Almighty, pointing to His Lordship. What may appear in it as acts or effects does not qualify it for divine Lordship, nor can it be used to deny the existence of the Creator. The research adopted a descriptive, inductive, and critical methodology. The research concludes that New Atheism has failed to prove nature's Lordship, and that its arguments have collapsed in light of scriptural, rational, and innate proofs. It affirms the capacity of Islamic creed to dismantle and refute its philosophical foundations. The study is a contribution to the intellectual and doctrinal protection of the contemporary Muslim in an age filled with doubts, desires, and ideological deviations spread through modern knowledge platforms.

Keywords: Nature, New Atheism, Chance, Evolution, Fiṭrah (Innate Disposition).

---

(1) أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية بكلية الشريعة والقانون، جامعة المجمعة، وكلية التربية حنتوب بجامعة الجزيرة، السودان.

البريد الإلكتروني: f.omer@mu.edu.sa

(1) Associate Professor, Department of Islamic Studies, Faculty of Sharia and Law, Majma'ah University, and Faculty of Education, Hantoub, University of Gezira, Sudan.

E-mail: f.omer@mu.edu.sa

المقدمة

تسعى المذاهب الإلحاديّة وأوّلها الإلحاد الجديد[1] إلى البحث عنْ كل ما يُؤيّد أصل مذهبها في نفي الاعتقاد بوجود الخالق، وقد عَمَد إلى جعل ما في الطبيعة مـنْ مظاهر الفعل مطيّة لمنحها خصائص الرُّبوبيّة، فكانت هي الخالق لكل شيء، والمخلوق مِنْ لا شيء، ولا حد لقدرتها على الخلق، واعتمدَ في ذلك على التّطور والمصادفة والماديّة أصلًا وسببًا وسبيلًا، فخلطَ بين الحقائق العلميّة ونسب إليها الفاعليّة، فكانت ثلاثتها الموصلة إلى بيان لا محدوديّة إمكانيّة الطبيعة على إيجاد الأشياء، والناظر للطبيعة وما خلق الله تعالى يتبين له الإتقان والقدرة في صنع الله تعالى، وإعجاز التصميم وبراعته، وحتميّة وجود غاية ومصير لكل موجود، واستحالة صدور كل ذلك مِنْ غير الله تعالى، أوْ منْ لا شيء.

كما أنّ الشّرع والعقل والفطرة تكذّب ذلك، وتشهد بالأدلّة البيّنة على بطلان أنْ تخلُق الطبيعة شيئًا، أو أنْ يشترك مع الله خالق في ملكه وخلقه ﷻ، ولا يزال العلم يرفد الحياة المعاصرة بكثير مـنْ الحقائق والنّظريات التي تُؤكِّد وجود الله تعالى[2]، وأنَّ له الخلق والأمر كلّه لا شريك له، وأنَّ الفطرة السّليمة لا تفتأ تناجي ربها في كل حين وأوان شاهدة لله تعالى قيّوم السماوات والأرض، وتعلو شواهد الوحي دليلاً جازمًا على وجود الله تعالى وأنّ له الرُّبوبيّة والألوهيّة والأسماء الحُسنى والصفات العُلى، هادية الإنسان إلى صراط الله المستقيم.

أهداف البحث:

1- عرْض رؤية الإلحاد المعاصر وما ذهب إليه في مسألة رُبوبيّة الطبيعة وأنّه اعتمد على نظريّة التّطور والمصادفة والماديّة ليؤسس بها الفعل المطلق للطبيعة.

2- نقض زعم الإلحاد الجديد؛ بكشف حقيقته وفساد تصوراته في مسألة رُبوبيّة الطبيعة، عبر تمييز فساد الفكر الإلحاديّ وعجز نظرياته عنْ منافحة الدليل النقليّ أو اقناع العقل والفطرة بربانيّة الطبيعة، وإنّ في دحض شبهات الإلحاد وصولًا لليقين بما جاء به الوحي، في درب أداء أمانة العلم ورجاء نيل ثواب الله تعالى[3].

(1) الإلحاد الجديد (New Atheism) هو الإلحاد الذي برز بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والذي يتميز عنْ غيره مِنْ أنماط الإلحاد بجملة مِنْ الخصائص والسمات والرموز والمؤلفات، وهو مصطلحٌ صاغه الصحفي اللاديني جاري وولف في 2006م ليصف الأفكار التي يتبناها بعض ملحدي القرن الحادي والعشرين، ومِنْ أهمّ مبادئه - وفق زعمهم: عدم التسامح مع «الخرافات والأديان واللاعقلانية»، لتأثيرها السيِّء في شتّى مناحي الحياة، أشهر مَن يمثّله: ريتشارد داوكنز Richard Dawkins، ودانييل دينيت Daniel Dennett، وسام هاريس Sam Harris، وكريستوفر هيتشنز Christopher Hitchens، ويطلق عليهم عادة الفرسان الأربعة. ينظر: ميليشيا الإلحاد، لعبد الله العجيري، (ص9)، خرافة الإلحاد، د. عمرو شريف، (ص361).

(2) ينظر: فطريّة الإيمان، كيف أثبتت التجارب أنّ الأطفال يولدون مؤمنين؟، د. جونسون باريت، ترجمة مركز دلائل.

(3) يقول شيخ الإسلام ﷺ: «فكل منْ لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكنْ أعطى الإسلام حقه، ولا وفَّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور، وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين». ينظر: مجموع الفتاوى (20/ 164-165).

3 – تأكيد أنّ سعيَ الإلحاد إلى منح الرُّبوبيّة للطبيعة هو محاولة لخلق إله بديل عبر جعل السُنن الإلهيّة الكونيّة فيها فعلًا لها؛ بهدف التأسيس للإلحاد، وهي محاولة باطلة عبر هدم أصول ما قامت عليه تلك المحاولة، وأنّ مقالاته في ربوبيّة الطبيعة لا يقبلها الشرع ولا العقل ولا الفطرة السّليمة، ومسالكه في ذلك كالتّطور والمصادفة والماديّة ساقطة وواهية.

حدود البحث:

1 – لا يتناول البحث الرد والنقاش العلميّ على المواقف العلميّة في بُعدها التخصصي؛ في نظريّة التّطور أو قانون المادة، وإنّما يُعنى فقط بما ينبثق عنها منْ أفكار تمس سلامة الاعتقاد.

2 – يتناول البحث ثلاثة منْ مقالات الإلحاد التي يعتمد عليها في دعم اعتقاد ربوبيّة الطبيعة وهي: التّطور، المصادفة، الماديّة.

منهج البحث إجراءاته:

1 – نقل أقوال سدنة الإلحاد الجديد منْ مصادرهم والتي يتبين خلالها حججهم في بناء وتأسيس قدرة للطبيعة على الخلق والإيجاد بقوانين المادة أو المصادفة أو بنظريّة التّطور الطبيعيّ.

2 – استقراء مصادر الوحي وأدلة العقل والأصول الفطريّة الإنسانية في إبطال أقوال ومزاعم الإلحاد الجديد في جعل الطبيعة الفاعل المطلق في الكون.

3 – وقد سلك البحث لذلك المنهج الوصفيّ الاستقرائيّ والنقديّ؛ بتتبع أقوال الإلحاد الجديد منْ مصادرها، لبيان رؤيته في نفي الخالق وإثبات ربوبيّة الطبيعة، وبتتبع الأدلة الشرعية والعقلية وشهادات الفطرة بوجود الله تعالى وتوحيده وتقديم النقض المناسب لزعم ربوبيّة الطبيعة.

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: الإلحاد الحديث وجهود علماء المسلمين في مواجهته، للطالبة: سارة فرج البقمي، رسالة ماجستير جامعة الملك عبد العزيز، 2016م.

تهدف الدراسة إلى تحليل ظاهرة الإلحاد الحديث، وأسباب انتشاره، وأبرز أفكاره، ودراسة الأساليب الفلسفيّة التي استخدمها الإلحاد الحديث لنشر أفكاره، ثمّ تقيّم جهود علماء المسلمين في مواجهته، سواء على المستوى النظريّ أو العمليّ، عبر المباحث الآتية: أولًا: الإلحاد الحديث وفيه: أ- تعريفه وتمييزه عن الإلحاد التاريخيّ، ب- العوامل المؤدية لانتشاره، ج- أبرز التيارات والشبهات. ثانيًا: جهود علماء المسلمين في المواجهة وهي: أ- الردود العقديّة: تفنيد شبهات الإلحاد باستخدام الأدلة العقليّة والنقليّة، ب- المنهج الدعويّ: بتطوير أساليب الحوار مع الملحدين، مثل التركيز على الفطرة والبراهين العلميّة في القرآن، ج- المبادرات العمليّة: بإنشاء مراكز متخصصة، وبرامج توعوية، ومحتوى رقمي. ثالثًا: التحديات والمعوقات متمثلة في: أ- ضعف التأصيل الشرعي لبعض الردود، ب- محدودية تأثير الخطاب الديني التقليدي على الشباب، ج- هيمنة الفضاء الرقميّ كمصدر للتأثير الإلحاديّ،

وخلصت الدراسة إلى النتائج الآتية: إنّ جهود العلماء كانت فعّالة في كشف تناقضات الإلحاد، ولكن ينقصها تطوير أساليب مخاطبة الأجيال الجديدة، وأوصت بتكثيف التعاون بين المؤسسات الدينية والعلماء والمختصين في العلوم الإنسانيّة لمواجهة الإلحاد، وتوظيف التقنية الحديثة لنشر الردود بطرق جاذبة وميسرة، ورغم تميز الدراسة في تحليلها للإلحاد وتقييم جهود المسلمين في مواجهته إلّا أنّها لم تعرض لموضوع ربوبيّة الطبيعة لدى الإلحاد الجديد.

الدراسة الثانية: الفكر الإلحاديّ المعاصر وسائل انتشاره وطرق مواجهته، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل، للطالبة: شهرات بنت يوسف هادي فيصل، 2018م.

تهدف الرسالة إلى دراسة ظاهرة الإلحاد المعاصر منْ حيث الجذور الفكريّة، وآليات الانتشار، وطرح استراتيجيات عملية لمواجهتها من وفق رؤية إسلاميّة؛ عبر المباحث الآتية: أولًا: طبيعة الفكر الإلحاديّ المعاصر في ثلاثة محاور: أ- تعريف الإلحاد المعاصر: تمييزه عنْ الإلحاد التاريخيّ الكلاسيكيّ بتركيزه على نقد الدين كظاهرة اجتماعيّة وسياسيّة، ب- أبرز التيارات: وهي الإلحاد العلمويّ، والإلحاد العاطفيّ، ج- أدواته الفكريّة: وذلك بالتشكيك في النصوص الدينية عبر القراءات الحداثية، وتوظيف الفلسفات المادية «ماركسية، وجودية». ثانيًا: وسائل انتشار الإلحاد وهي: أ- الوسائل الرقمية: نحو منصات التواصل (تيك توك، تويتر) وقنوات يوتيوب بودكاستية، ب- الوسائل الأكاديميّة والثقافيّة: متمثلة في ترجمة كتب الملحدين مثل دوكنز، هيتشنز بلغات المسلمين، ودمج الأفكار الإلحاديّة في مناهج العلوم الاجتماعيّة كمادة «نقد الأديان»، ج- عوامل نفسيّة واجتماعيّة نحو: استغلال الأزمات الشخصيّة كالبحث عنْ الهويّة والربط الخاطئ بين التقدم العلميّ ورفض الدين. ثالثًا: طرق المواجهة والعلاج وهي: أ- المواجهة الفكريّة: خلال تفنيد الشبهات العلميّة، ونقد الإلحاد منْ داخله، ب- المواجهة الدعويّة: عبر خطاب يركز على الفطرة وييسر فهمه، ج- مواجهة مؤسسيّة عبر: إنشاء وحدات بحثية في الجامعات لدراسة الإلحاد. رابعًا: دراسات حالة وتطبيقات عمليّة عبر تحليل نماذج ناجحة في المواجهة، وتقييم أخطاء شائعة في الرد على الملحدين كالإفراط في استخدام الإعجاز العلميّ، وقد انتهت الدراسة إلى الآتي: إنّ الإلحاد المعاصر يمثل ظاهرة مركبة تحتاج لمواجهة متعددة الأبعاد؛ فكريّة، نفسيّة، تقنيّة، وإنّ الوسائل الرقميّة هي الأخطر في الانتشار، والأكثر تأثيرًا إذا استُخدمت للرد، وإنّ ضعف التكوين العقديّ لدى الشباب يجعلهم فريسة سهلة للشبهات. ثم أوصت الدراسة للأفراد: بتطوير مهارات الحوار والنقد المنطقيّ ودراسة الفلسفة الغربيّة لفهم جذور الإلحاد، وللمؤسسات: بإسناد المبادرات الإعلاميّة الموجهة للشباب وإدراج مادة نقد الإلحاد مثلًا في المناهج الجامعيّة، وقد تميزت الدراسة بالجمع بين التنظير الأكاديميّ كتحليل الفلسفة الماديّة، والاستناد إلى بيانات واقعية مثل

إحصاءات انتشار الإلحاد في العالم الإسلاميّ ولكنّها لم تعرض لموضوع ربوبيّة الطبيعة لدى الإلحاد الجديد.

الدراسة الثالثة: حركة الإلحاد الجديد في الغرب، دراسة تحليليّة نقديّة، رسالة ماجستير بجامعة القصيم، للطالب: محمد كامل نذير أحمد، 2017م.

هدفت الدراسة على تحليل ظاهرة الإلحاد الجديد في الغرب، مِنْ حيث الخصائص الفكريّة وأبرز الرموز، وتقديم نقد للأسس الفلسفيّة والعلميّة التي تستند إليها هذه الحركة، ثم تقييم تأثيرها على المجتمعات الغربيّة والإسلاميّة، وطرح تصور إسلاميّ لمواجهتها، وقد جمعت المباحث الآتية: أولًا: التعريف بحركة الإلحاد الجديد وخصائصها في التالي: أ- مفهوم الإلحاد الجديد: وأنّه تيار فكريّ ظهر في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين، يتميز بهجومه الصريح على الأديان وادعائه أنّ الإيمان يتعارض مع العقل والعلم، ب- بيان أبرز رموز الحركة: وهم ريتشارد دوكنز وكريستوفر هيتشنز وسام هاريس ودانيال دينيت، ج- أهم أفكار الحركة وهي: اعتبار الدين خرافة ضارة يجب القضاء عليها، ثمّ الربط بين الإلحاد والعلمانيّة المتطرفة واستخدام نظريات علميّة مثل التّطور الداروينى لدحض فكرة الخالق. ثانيًا: وسائل انتشار حركة الإلحاد الجديد وهي: أ- الكتب والمؤلفات، ب- المنصات الإعلاميّة والرقميّة، ج- السياسات الثقافية الغربية متمثلة في دعم بعض الحكومات الغربية للخطاب الإلحاديّ تحت شعار حريّة التعبير. ثالثًا: نقد الأسس الفكريّة لحركة الإلحاد الجديد بأنواع النقد: أ- الفلسفيّ. ب- العلميّ. ج- الاجتماعيّ. رابعًا: سبل مواجهة حركة الإلحاد الجديد من منظور الإسلام وهي: أ- المواجهة الفكريّة. ب- المواجهة الإعلاميّة والدعويّة، ج- ثمّ المواجهة المؤسسيّ. وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية: إنّ حركة الإلحاد الجديد ليست مجرد رفض للإله، بل هي مشروع فكريّ وسياسيّ هدفه إقصاء الدين منْ الحياة، قد نجحت الحركة في التأثير على قطاع منْ الشباب المسلم بسبب ضعف المناعة الفكريّة وغياب الردود المنهجيّة، وإنّ أبرز نقاط ضعفها هي: التناقض الفلسفيّ، وافتقارها لنظام أخلاقيّ متكامل. وتُوصي الدراسة بأهميّة تعزيز التعليم العقديّ لدى الشباب المسلم لمواجهة الشبهات، وترجمة الكتب الإسلامية الناقدة للإلحاد إلى اللغات الأجنبية، وتوظيف المنصات الرقميّة لنشر الردود العلميّة على الإلحاد، وقد تميزت الدراسة بتقديم رؤية تحليليّة شاملة لحركة الإلحاد الجديد وتعريف به؛ إلّا أنّها لم تتطرق لبحث ربوبيّة الطبيعة لدى الإلحاد الجديد.

الدراسة الرابعة: أسس الإلحاد المعاصر وطرق مواجهته، للطالب: ياسر إبراهيم بحري، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، 2017م.

يهدف البحث إلى دراسة الأسس الفكريّة والفلسفيّة للإلحاد المعاصر، وتقييم وسائل انتشاره، مع تقديم تصور منهجيّ لمواجهته منْ المنظور الإسلاميّ، ضمن المباحث الآتية: أولًا: الأسس الفكريّة للإلحاد المعاصر، تناول:

أ- المدارس الفكريّة المؤثرة وهي: الماديّة العلميّة، والوجوديّة الإلحاديّة وما بعد الحداثة، ب- وفيه بيان أبرز الشبهات وهي: شبهة وجود الشر ونفي وجود الإله الحكيم، ودعاء تعارض الدين مع العلم، ونقد النصوص الدينية تاريخيًا. ثانيًا: وسائل انتشار الإلحاد المعاصر وفيه تناول: أ- الوسائل الفكريّة، ب- الوسائل التقنيّة، ج- العوامل النفسيّة والاجتماعيّة. ثالثًا: طرق مواجهة الإلحاد المعاصر وهي: أ- المواجهة العقديّة والفكريّة، ب- المواجهة الدعويّة، ج- المواجهة المؤسسيّة. وخلصت الدراسة إلى النتائج التالية: يعتمد الإلحاد المعاصر على شبهات قديمة مُعادة بتغليف حديث علميّ أو فلسفيّ، وإنّ الفضاء الرقميّ هو أخطر وسائل انتشاره، خاصةً بين الشباب، ثمّ إنّ ضعف المناعة العقديّة لدى بعض المسلمين يجعلهم عرضة للتأثر بهذه الأفكار، وأوصت بأهميّة معرفة أُسس النقد الفلسفيّ لقواعد الإلحاد، وضرورة دعم المحتوى الرقميّ المضاد، والتركيز على الحوار الهادئ، وتمتاز الدراسة بالربط بين النظريات الفلسفية الغربية نحو الماديّة الجدليّة وبين الإلحاد المعاصر إلّا أنّها لم تتناول مسألة ربوبيّة الطبيعة لدى الإلحاد المعاصر.

الدراسة الخامسة: أطروحات الإلحاد المعاصر ونقدها، ريتشارد دوكينز أُنموذجًا، للطالب: محمد بن عبد الرحمن السيف، بحث تكميلي بجامعة حائل، 2020م.

قامت الدراسة على نقد الأطروحات المركزيّة للإلحاد المعاصر كما يقدمها ريتشارد دوكنز كأبرز ممثلي الإلحاد الجديد ثمّ تحليلها فلسفيًّا وعلميًّا، وتقديم الرؤية النقديّة الإسلاميّة، في الآتي مِنْ المباحث: أولًا: الإطار النظريّ للإلحاد الجديد، تناولت فيه التعريف بالإلحاد الجديد وتمييزه عن الإلحاد القديم، وخصائصه الرئيسة، ثانيًا: تناولت الدراسة أطروحات ريتشارد دوكينز المركزيّة: متمثلة في: أ- النقد الدينيّ، ب- الحجج العلميّة، ج- الموقف الأخلاقي. ثالثًا: بينت الدراسة منهجيّة النقد لأطروحاته وهي: أ- النقد الفلسفيّ، ب- النقد العلميّ، ج- النقد الإسلاميّ. رابعًا: عرضت لنماذج تطبيقيّة للنقد نحو: أ- تفنيد زعم الدين ضد العلم، ب- الرد على الميمات الدينية بدراسات الأنثروبولوجيا، ج- نقد النسبية الأخلاقية عند دوكينز، وخلصت إلى النتائج الآتية: إنّ أطروحات دوكنز تعاني مِنْ اختزال منهجيّ بتفسير الدين عبر منظور ماديّ خالص. وتميزت دراساته بتناقض داخليّ بين في إنكاره للغاية مِنْ الكون وادعائه بناء أخلاق موضوعيّة، وفشله في توظيف النموذج الدارويني في تفسير تعقيد الحياة كما في ظاهرة الوعي، وأوصت بالتالي: أهميّة تطوير خطاب منهجيّ إسلاميّ علميّ في مواجهة الإلحاد بلغة العصر، وإبراز نماذج علماء مسلمين يجمعون بين الإيمان والعلم، وإنشاء منصات بحثية وحوارية متخصصة في نقد الإلحاد علميًّا، ورغم أنّ الدراسة أضافت تحليلًا للسياق التاريخي لظهور إلحاد دوكنز ودراسة تأثير خطابه على الشباب المسلم عبر ترجمة كتبه وتعريفًا للإلحاد الجديد، ولكنها لم تبحث عنْ ربوبيّة الطبيعة في نقد أطروحات ريتشارد دوكينز.

الدراسة السادسة: اسم الله الخالق ودلالته العقديّة في ضوء تحديات الإلحاد المعاصرة، دراسة تحليليّة نقديّة، للطالب: علي أحمد التيجاني أديسا، ماجستير جامعة الملك خالد، 2022م.

تهدف الدراسة إلى تحليل الدلالات العقديّة لاسم الله «الخالق» في مواجهة التحديات الإلحاديّة الفكريّة المعاصرة، مع تقديم الرؤية الإسلامية القائمة على القرآن والسنّة والمنطق العقليّ، وتتناول الدراسة المباحث الآتية: أولًا: المفهوم القرآنيّ لاسم الله الخالق، ثم دلالاته العقديّة، ثانيًا: التحديات الإلحاديّة المعاصرة لفكرة الخلق، الشبهات الرئيسية مثل إنكار الخلق المباشر أو ادعاء أزليّة المادة وشبهة من خلق الله. ثالثًا: الردود العقديّة والعقليّة على التحديات الإلحاديّة: وهي: الرد القرآنيّ والعقليّ والعلميّ. رابعًا: تطبيقات عمليّة في مواجهة الإلحاد: تناولت فيه الخطاب الدعويّ في الربط بين اسم الخالق وإثبات وجود الله عبر الأمثلة المحسوسة وتوظيف لغة العلم الحديث في شرح الدلالات العقديّة. وخلصت إلى النتائج الآتية: إنّ اسم الله الخالق يحمل دلالات عقديّة عميقة تصلح كأساس لمواجهة الإلحاد، وإنّ الشبهات الإلحاديّة المعاصرة مستندة على قراءة انتقائيّة للعلوم مع تجاهل الأسئلة الوجوديّة الكبرى، وأنّ الجمع بين الأدلة النقليّة والعقليّة والعلميّة هو أنجع طريق للرد على الإلحاد. وأجملت التوصيات في: أهميّة تعميم الدراسة العقديّة لأسماء الله الحسنى في المؤسسات البحثية والتعليمية والدعويّة، وضرورة إنتاج محتوى علميّ ميسر تتوافق فيه الاكتشافات الحديثة وإثبات الخلق، وإنشاء مراكز متخصصة لتدريب الدعاة على الحوار مع الملحدين بصورة منهجيّة وطرق عصريّة، وقد تميزت الدراسة بالربط بين المنهج القرآنيّ في إثبات الخلق والمناهج العقليّة الحديثة ونقد النظريات الماديّة منْ جذورها الفلسفيّة كالماديّة الجدليّة وتحليل خطاب دوكينز حول الخلق وتفنيده من وجهة نظر إسلامية إلّا أنّها لم تتعرض لموضوع ربوبيّة الطبيعة عند الإلحاد الجديد.

خطة البحث:

- **تمهيد: مفهوم الطبيعة وغاية ربوبيتها لدى المذهب الإلحاديّ الجديد.**
- **المبحث الأول: عرض مسالك الإلحاد الجديد في ربوبيّة الطبيعة، وفيه ثلاثة مطالب:**
  - المطلب الأول: عرض ربوبيّة الطبيعة لدى الإلحاد الجديد عبر نظريّة التّطور.
  - المطلب الثاني: عرض ربوبيّة الطبيعة لدى الإلحاد الجديد عبر الإطار الفلسفيّ للماديّة.
  - المطلب الثالث: عرض ربوبيّة الطبيعة لدى الإلحاد الجديد عبر المصادفة.
- **المبحث الثاني: نقض ربوبيّة الطبيعة لدى الإلحاد الجديد، وفيه ثلاثة مطالب:**
  - المطلب الأول: نقض ربوبيّة الطبيعة لدى الإلحاد الجديد بالأدلة الشرعية.

- المطلب الثاني: نقض ربوبيّة الطبيعة لدى الإلحاد الجديد بالأدلة العقليّة.
- المطلب الثالث: نقض ربوبيّة الطبيعة لدى الإلحاد الجديد بالأدلة الفطريّة.

- **الخاتمة**: النتائج والتوصيات.
- **فهرس المصادر والمراجع**.

* * *

تمهيد

مفهوم الطبيعة وغاية ربوبيتها لدى المذهب[4] الإلحاديّ الجديد

يُعرِّف الجرجاني الطبيعة بأنّها: «عبارة عنْ القوة السارية في الأجسام، بها يصل الجسم إلى كماله الطبيعيّ»[5]، ويوافقه المعجم الفلسفيّ بأنّها: «القوّة السارية في الأجسام التي يصل بها الوجود إلى كماله الطبيعيّ، وهذا المعنى هو الأصل الذي ترجع إليه جميع المعاني الفلسفيّة التي يدل عليها هذا اللفظ»[6]، وفي المعجم الفلسفيّ لإبراهيم مدكور يعرّفها بأنّها: «بوجه عام جملة الكائنات في نظمها المختلفة، منْ أرض وسماء، وتسمى الكوسموس، أوْ الكون، في مقابل الإنسان»[7].

أمّا مفهوم الطبيعة في النظرة الإلحاديّة ووفق مقالاتهم عنْها فهي القوانين التي تحكم وتتحكم في الكون سواءًا كانت قوانين الجاذبيّة أو قانون الانتخاب الطبيعيّ[8] أو قوانين العلم، حتى نسبوا إليها الفاعليّة المطلقة في الكون؛ يقول داروين: «ولكنّي أعني فقط بكلمة (طبيعة) المفعول الإجمالي والنتيجة للكثير من القوانين الطبيعيّة، وأعني بكلمة (قوانين) تعاقب الأحداث كما تمّ التحقق منها بواسطتها»[9] وحقيقة فلسفتهم كما في المعجم: «تُعرف بفلسفة الطبيعيين (الطبيعيّة) وهم معطلة الفلاسفة الذين ينكرون الخالق ويقولون بالطبيعة التي تُحيي وتُفني، باعتبار الطبيعة هي الخالق لكل هذه القوى المنبثة في الكون»[10]، والفارق بين مفهوم الطبيعة عند الفلاسفة وعند الملاحدة، أنّ الفلاسفة ترى في الطبيعة قوّة إلّا أنّها ليست مكتفية بذاتها، ولها غاية؛ والملاحدة يرون أنّها وُجدت منْ لا شيء نتيجة لقوانين عمياء وليس لها غاية، ولها قوّة وتفسِّر كل شيء[11]. ووفق

(4) المذهب: الطريقة والمعتقد الذي تذهب إليه، والمذهب عند الفلاسفة مجموعة منْ الآراء والنظريات الفلسفيّة ارتبط بعضها ببعض ارتباطاً منطقياً حتى صارت وحدة عضوية متسقة ومتماسكة، ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، (ص361)، والمعجم الفلسفي، إبراهيم مدكور، (ص174).

(5) التعريفات، الجرجاني، (ص119).

(6) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، (ص492).

(7) المعجم الفلسفي، إبراهيم مدكور، (ص12).

(8) ويعني: «بقاء عدد قليل على قيد الحياة منْ الكائنات لتميز خصائصها وقدرتها على ملاءمة الظروف». ينظر: أصل الأنواع، دارون، (ص137).

(9) ينظر: أصل الأنواع، تشارلس داروين، (ص162).

(10) يُنظر: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحفني، (ص492-493).

(11) يُنظر: التصميم العظيم، ستيفن هوكينغ، وهم الإله، وصانع الساعات الأعمى، ريتشارد دوكينز، كون من لا شيء، لورانس براون، لماذا لست مسيحياً؟، برتراند راسل، مباحث في الفهم=

التصور الإسلامي فإنّ الطبيعة خلقٌ منْ خلق الله تعالى، يُسيرها وفق سننه الكونيّة، ولها غاية ومصير، لا تستقل بإرادة وقوة، آية دالة على وجوده وتوحيده سبحانه، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 164]، وإنّ ما يسمونه قوانين تحكم الكون إنّما هي سنن الله تعالى في خلقه، أودعها سبحانه فيها لغاية وحكمة ومصير، وإنّ كل ما يسوقه الإلحاد ما هو إلّا محاولة للإجابة عنْ سؤال كيف تعمل الطبيعة؟ وليس الإجابة المرادة عنْ سؤال: مَنْ أوجدَ الطبيعة وأودع فيها خصائصها؟ لذا فإنّ مظاهر القوة في الطبيعة لا تفسِّر حقيقة الوجود وإنّما هي ذاتها بحاجة إلى تفسير، والتصور العقديّ للطبيعة أنّها خلقُ الله تعالى، وهي في مرتبة العبوديّة والخضوع لله تعالى؛ قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:44].

وتُعرّف الرُّبوبيّة لغةً: بأنّها مأخوذة منْ (الرّب) ويراد بها الله ﷻ، أيْ المالك لكل شيء، جاء في القاموس المحيط: «الرّبُ، باللام: لا يطلق لغير الله ﷻ، ورب كل شيء: مالكه ومستحقه»[12] وجاء في لسان العرب: «الرّبُ: هو الله ﷻ، هو رب كل شيء أيْ مالكه، وله الرُّبوبيّة على جميع الخلق، لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك، ولا يقال الرّب في غير الله، إلا بالإضافة»[13]، **وشرعا هي**: إفراد الله تعالى بأفعاله كالخلق والتدبير والإحياء والإماتة والملك، هذا جوهر التعريف، وقد جاء بأكثر من هذا، منها: «الإقرار بأنّ الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنّه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك»[14]، وإنّ توحيد الرُّبوبيّة مصطلح لا علاقة له بالمذهب الربوبيّ (Deism)؛ الذي يعرّفه قاموس أكسفورد بأنّه: «الاعتقاد الفلسفيّ في إله يثبت بالعقل والشواهد دون قبول المعلومات الخاصة التي يفترض أنّه أُوحي بها في الانجيل أو القرآن مثلًا، يشمل الاعتقاد في خالق أسس العالم وعملياته لكنّه لا يستجيب لعبادة البشر أو حاجاتهم»[15] فهو مذهب فلسفيّ ظهر في أوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر ويعتقد بوجود خالق وينكر تدخله بعد الخلق، ولا يؤمن بالوحي ولا النبوات؛ فهو إلحاد يعطل صفات الله تعالى[16].

=البشري، ديفيد هيوم، نقد العقل المحض، إيمانويل كانط.

(12) القاموس المحيط، (ص87).

(13) لسان العرب، (1/ 399).

(14) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، (ص17).

(15) دليل أُكسفورد للفلسفة، ترجمة: نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتحرير ليبيا، (3/ 404).

(16) ينظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، دونالد استرومبرج، (ص173).

والناظر إلى السُّنن الإلهية في الطبيعة وما خلق الله تعالى يتيقن أنّها توصله في سلاسة إلى الإيمان الراسخ بوجود الله تعالى وتوحيده، وفقًا لما أودع الله فيها منْ أمره ونهيه، لا أنْ تكون طريقًا لإضفاء صفة الرُّبوبيّة عليها، قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:53]. يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «فبيّن سبحانه أنّه يُرِي الآيات المشهودة ليبين صدق الآيات المسموعة مع أنّ شهادته بالآيات المسموعة كافية»[17]، وإنّ ما في الطبيعة آيات وسنن ربانيّة هادية للخلق لمعرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته وعبوديته؛ وفي الحديث عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَسْعُود يقول: قال النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد مِنْ الناس، ولكنهما آيتان مِنْ آيات اللهَّ، فإذا رأَيتمُوهُما، فقوموا، فصلوا»[18] وليس أدلّ على ذلك شاهدًا مِنْ الضبط الدقيق والصنع العظيم للكون دليلًا على وجود الخالق[19].

غاية الإلحاد الجديد مِنْ مبدأ ربوبيّة الطبيعة:

إنّ غاية الإلحاد الكبرى منْ ربوبيّة الطبيعة نفي الخالق، فالواجب النهائيّ له تشييد العالم على أنقاض الدين[20]، ليُصبحَ عالمًا إلحاديًّا خالصًا اعتمادًا على العقل المجرد وصولًا للإلحاد الكامل، مع صبغ الإلحاد بالعلميّة ليُعطيه القدرة على جذب الآخر واستمالته، لتُوهم مقالاته أنّها ثوابت علميّة عقليّة محضة.

ومنْ المسالك المؤسِسة لمبدأ ربوبيّة الطبيعة، زعْم الإلحاد أنّه لا وجود لغير الطبيعة، ولا وجود لواقع متجاوز لها، ومهّد لهذا تعلق المجتمعات الغربيّة بالماديات والميل إليها، وأنّ العلم التجريبي هو الوسيلة الوحيدة للمعرفة والمجال الأوحد للتفكير والتفسير والتنظير لتأسيس الرؤية الشاملة للوجود؛ وهذا يُهيئ العقل لتقعيد ربوبيّة الطبيعة، للوصول إلى حصر المعرفة المعتبرة في العالم المشاهد وسيادة الماديّة، وأنّ القوانين الطبيعيّة كافية لتفسير الكون، ولرفض أيّ رؤية لعالم الغيب أو الماورائيات، ويخرج الإلحاد منْ معضلة تفسير المغيبات أو ما وراء الحس[21].

فالعقل الملحد لنْ يستطيع أنْ يُؤسس معرفة يقينيّة غيبية ومقنعة، بينما أمكنْ عقيدة التوحيد في رؤيتها المعرفيّة بشمولها لعالمي الغيب والشهادة في درجة واحدة من الثبات واليقين والبيان، بتوافق تام مع العلم والعقل والفطرة السّليمة، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: 46]. يقول شيخ الإسلام في رده على

(17) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، (3/ 331-332).

(18) صحيح البخاري، أبواب الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس حديث، رقم (1007).

(19) يُنظر: لغة الإله: العلم يقدم دليلا على الإيمان، فرانسيس كولينز، صلاح الفضلي، (ص78، 89، 93، 94).

(20) انظر: ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان، الشهري، (ص22).

(21) ينظر: وهم الإله، ريتشارد دوكينز، (Richard Dawkins) نهاية الإيمان، سام هاريس، فكرة الخطير، دانيال دينيت.

خطأ قول القائل: إنّ من أثبت افتقار المحدث إلى الفاعل بالقياس على حدوث الذوات: «فيقال: هؤلاء إنما قاسوا على افتقار الكتابة إلى كاتب، والبناء إلى بان، ونحو ذلك، ومعلوم أنّ البناء والكاتب لم يبدع جسمًا، وإنّما أحدث في الأجسام تأليفًا خاصًا، وهو عرض من الأعراض، فكيف يجعل مثل هذا محدثًا للذوات، ويجعل الذي خلق الإنسان منْ نطفة، والشجرة منْ نواة، إنما أحدث الصفات؟»[22].

ويصرح الإلحاد بربوبيّة الطبيعة على لسان لورنس كراوس[23] صاحب كتاب «كون منْ لا شيء»: «إنّ الكون هو ما عليه، سواءًا أحببنا أو لم نحب، لا يعتمد وجود خالق أو عدم وجوده على رغباتنا، وقد يبدو عالمًا منْ دون خالق أو غاية قاسيًا وبلا معنى، لكن هذا وحده لا يتطلب أنْ يوجد الله حقًا»[24].

***

المبحث الأول

عرض مسالك الإلحاد الجديد في ربوبيّة الطبيعة

- **المطلب الأول: عرض ربوبيّة الطبيعة لدى الإلحاد الجديد عبر نظريّة[25] التّطور.**

تمثل نظريّة التّطور الرؤية الإلحاديّة البديلة للخلق؛ أيْ الخلق عبر التّطور الطبيعيّ أو عن طريق الانتقاء الطبيعيّ[26] وتزعَّم ذلك داروين في كتابه «أصل الأنواع»، وقد بيّن مراده منْ الطبيعة فقال: «ولكني أعني فقط بكلمة «طبيعة» المفعول الإجمالي والنتيجة للكثير منْ القوانين الطبيعيّة، وأعني بكلمة قوانين تعاقب الأحداث كما تمّ التحقق منها بواسطتها»[27] وتبعًا لهذه النظريّة فإنّ الانتخاب الطبيعيّ قادر على القيام بالكثير، بإعطاء الكائنات الوقت لإحداث التغيرات التراكمية الكافية فتتكون أنواع جديدة، ويمكنه أنْ يحوِّل الديناصورات إلى طيور، والثدييات البرمائية إلى حيتان وأسلاف القرود إلى بشر، والسبيل إلى معرفة ذلك بالتحقق في هذه القوانين لا من خارجها.

(22) درء تعارض العقل والنقل، (3/ 85).

(23) لورنس إم كراوس، (Lawrence M. Krauss) هو عالم كونيات شهير ومبسط للعلوم الحديثة ومدير مشروع الأصول بجامعة أريزونا ستيت يونيفرستي، اعتبرته مجلة «ساينتفيك أمريكان» العلمية أحد المفكرين النادرين ذائعي الشهرة، وهو مؤلف أكثر من ثلاثمائة نشرة علمية بالإضافة إلى سبعة كتب، من بينها الكتاب الأكثر مبيعًا «فيزياء رحلة النجوم» فاز كراوس بالعديد من الجوائز الدولية عن كل من أبحاثه ومؤلفاته، ينظر: https://www.hindawi.org/contributors/38620868 مؤسسة هنداوي.

(24) كون من لا شيء، لورانس براون، ترجمة غادة الحلواني، (ص17).

(25) النظرية: هي مجموعة من الفرضيات والمفاهيم المترابطة التي تفسر ظاهرة معينة أو تقدم إطارًا لفهمها، يتم صوغها بناءًا على الأبحاث والملاحظات والتجارب، وهي قابلة للاختبار والتحليل العلمي، ينظر: بنية العقل العربي، محمد عابد الجابري.

(26) الانتقاء الطبيعيّ يعني: «بقاء عدد قليل على قيد الحياة من الكائنات لتميز خصائصها وقدرتها على ملاءمة الظروف الطبيعيّة». ينظر: أصل الأنواع، تشارلس داروين، (ص137).

(27) أصل الأنواع، تشارلس داروين، (ص162).

وطريقة عمل الانتقاء أو الانتخاب الطبيعيّ في الكائنات -وفق زعمهم- أنّه: «يعمل بشكل كُلي عنْ طريق الاحتفاظ بالتعديلات المفيدة، وكل شكل جديد يميل إلى أنْ يأخذ مكانًا، وفي النهاية إلى أنْ يبيد الشكل الأبوي الخاص به الذي هو أقلّ تحسنًا، والأشكال الأخرى الأقل منه في الأفضليّة والتي يحدث بينه وبينها تنافس، وبهذا الشكل فإنّ الانتقاء الطبيعيّ والإبادة يمضيان متعاونين يدًا بيد»[28] فينشأ الخلق الجديد بعد إبادة الأصل أيْ الشكل الأبوي.

ويفسر زعيم الإلحاد الجديد تشارلز دوكنز (Clinton Richard Dawkins) نظريّة الانتخاب الطبيعيّ كمدخل لفهم الكون وتفسيره؛ فيقول: «على الرغم منْ أنّ نظريّة الانتخاب الطبيعيّ محصورة بتفسير العالم الحي؛ فإنّ باستطاعتها أنْ ترفع مستوى الوعي للإدراك والقابلية للمقارنة عندنا مما يساعد على فهم الكون نفسه»[29].

ثمّ يقول داروين لمنْ يعتقد بالخلق الإلهيّ بديلًا عنْ الانتقاء والصراع منْ أجل البقاء؛ أنّ الصواب في مبدأ قدرة الانتخاب أيْ التّطور على التخلق بدلًا عنْ الخلق الإلهيّ: «والإنسان الذي يؤمنْ بالتصارع منْ أجل البقاء وفي مبدأ الانتقاء الطبيعيّ؛ سوف يسلّم بصحة أنّ كل كائن عضويّ هو في حالة سعي دائم للزيادة في العدد، وأنّه إذا تمايز كائن واحد بشكل قليل على الإطلاق، سواء في السلوكيات أو في التركيب، وبهذا يكتسب ميزة أكبر على أحد الكائنات القاطنة الأخرى لنفس القطر، فإنّه بهذا الشكل سوف يستولي على المكان الخاص بهذا القاطن»[30].

وإنّ خطر هذه النظريّة لا يتعلق بمخالفتها للوحي فقط ولكن بالتلفيق العلميّ لقضية الخلق؛ وليس في كونها تُؤسس لنقاء أجناس جديدة بعينها، تستحق الحياة دون غيرها، وفقًا لنظريّة البقاء للأقوى والتنافس الشرس؛ بل لأنّها تُؤسس لتحول القيم والمبادئ، عبر حتميّة التّطور والتغير كل شيء بتغير الزمان والمكان وفقد سمة الثبات في كل شيء، ما يجعل تقبل ربوبيّة الطبيعة وغياب الخالق أمراً لا نزاع فيه.

ومن دُعامات الإلحاد المساندة لنظريّة التّطور الداروينية؛ قضيّة المصادفة فيقول: «يبدأ التّطور الداروني وتبدأ الحياة المعقدة بالظهور كنتيجة نهائية، ولكن الظهور التلقائي للجزئي القابل للتوارث بالصدفة يبدو للعديدين غير محتمل»[31].

ويقول ستيفن هوكنغ (Stephen Hawking) في كتابه «تاريخ موجز للزمان» عنْ القدرات العقليّة التي منحنا إياها الانتخاب الطبيعيّ وأنّه نظريّة شاملة تقود الباحث إلى الاستنتاج الصحيح وهو إنكار الخالق: «فإنّ النظريّة الكاملة الموحدة لنْ تجعل ثمة فارقًا كبيرًا بالنسبة لفرصتنا في البقاء، وعلى كلٍ بافتراض أنّ الكون قد تطور

(28) أصل الأنواع، تشارلس داروين، (ص277).

(29) وهم الإله، تشارلز دوكنز، (ص5، 6).

(30) أصل الأنواع، تشارلس داروين، (ص292-293).

(31) وهم الإله، تشارلز دوكنز، (ص139).

بأسلوب منتظم فإنّ لنا أنْ نتوقع أنّ القدرات العقليّة التي أتاحها لنا الانتخاب الطبيعيّ ستكون أيضًا صالحة في بحثنا عن نظريّة كاملة موحدة، وهكذا فإنّها لنْ تؤدي بنا إلى الاستنتاجات الخطأ»[32].

وبذلك يستنتجون أنّ اعتقاد وجود الخالق خطأ يخالف فاعليّة الطبيعة للخلق اعتمادًا على الانتخاب الطبيعيّ، ولذا فإنّه: «مِنْ الممكن للانتخاب الطبيعيّ أنْ يُهيئ كائنًا حيًّا وبصورة تدريجية حتى يحتل مركزًا تصبح فيه كثير من أعضائه قليلة الغنى أو معدومة الفائدة كلية»[33].

وعليه فإنّ صبغ الإلحاد الجديد للطبيعة الصفات الربانيّة كالقدرة وإمكان الخلق، ناتجة عن جعل: «التّطور دعامة من الدعامات التي يقوم عليها الإلحاد، وهو في نفس الوقت أحد الأقانيم الثلاثة «المصادفة – الطبيعة – التّطور» التي يحلها الملاحدة محل الخالق جلّت قدرته، وينسبون إليها كل ما كان وما يكون»[34].

وفي معرض حديث دارون عن الانتقاء الطبيعيّ وهل هو سبب للتمايز أوْ الحفاظ عليه؟ بيّن أنّ المانح والفاعل الحقيقي هو الطبيعة؛ قال: «وفي هذه الحالة فإنّه مِنْ الضروري أنْ تحدث أولًا الاختلافات الفردية التي تمنحها الطبيعة» وفي الصفحة التالية وضّح المقصود بالطبيعة: «المفعول الاجمالي والنتيجة للكثير من القوانين الطبيعيّة»[35].

في معرض الإجابة عنْ سؤال الخلق عبر نظريته التي يطلق عليها: النظريّة «إمْ»[36]، مع اعتماد لنظريّة الخلق من العدم وتعدد الأكوان يقول ستيفن هوكنغ: «فإنّ الكون الذي نعيش فيه ليس هو الكون الوحيد، وبدلًا منْ ذلك فإنّ هناك عدداً كبيرًا منْ الأكوان التي خُلقت مِنْ العدم، ولا يتطلب خلقها تدخلًا مِنْ إله أو منْ كائن فوق طبيعيّ»[37].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنّ مبدأ الخلق مِنْ العدم غير راكز في العقل، وبيّن بطلانه إذْ قال رحمه الله: «حدوث الحادث بلا محدث أحدثه معلوم البطلان بضرورة العقل؛ ولهذا لو جوز مجوز أنْ يُحدث كتابةً أو بناءًا مِنْ غير محدث لذلك، لكان عند العقلاء إمّا مجنونًا وإمّا مسفسطًا، وكذلك معلوم أنّه لم يُحدث نفسه، فإنْ كان معدومًا قبل حدوثه لم يكن شيئًا فيمتنع أنْ يُحدث غيره فضلا عنْ أنْ يُحدث نفسه»[38].

وعليه فإنّ خلاصة مسعى الإلحاد وغايته الوصول

(32) تاريخ موجز للزمان من الانفجار الكبير حتى الثقوب السوداء، (ص23).

(33) أصل الأنْواع، تشارلز داوين، (ص256).

(34) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين، محمد علي يوسف، (ص41).

(35) أصل الأنْواع، تشارلز داوين، (ص162، 163).

(36) يُسميها: «إمْ» ترميزًا لها وأنّها النظرية التي تنظر للأمر من جميع زواياه، أيْ النظريّة الكاملة، أو نظريّة الغموض، أو نظرية الغشاء، يُنظر: الكون الأنيق (ص341).

(37) التصميم العظيم إجابات جديدة على أسئلة الكون الكبرى، ستيفن هوكينج، ليونارد ملودينوو، (ص18).

(38) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ابن تيمية، (3/ 203).

إلى ربوبيّة كاملة للطبيعة مؤسسًا ذلك على نظريّة التّطور، وعليه يرى الإلحاد: «إنّ فكرة الله، فكرة - الروح الخالص- خالق الكون لا معنى لها، لأنّ إلهًا خارج المكان والزمان هو شيء غير ممكن الوجود»[39]، وهو ذاته المنهج الإبليسي في القياس العقلي الفاسد الزاعم للحق والمقدَم على قول الله ﷻ.

- **المطلب الثاني: عرض ربوبيّة الطبيعة لدى الإلحاد الجديد عبر الإطار الفلسفيّ للماديّة:**

تتفق النزعة الماديّة في القديم مع الرؤية الإلحاديّة الماديّة اليوم؛ وهم أبعد ما يكونون عن ما يخبر به الرسل من أمور الغيب، كما عند اليهود لما سألوا موسى عليه السلام شرطًا للإيمان رؤية الله تعالى؛ وسيراً على الهيمنة الماديّة على أفكارهم وأنْ لا سبيل إلى الإيمان إلّا المادة؛ يقول الله تعالى: ﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: 113]، وكذلك فعل مشركو العرب مع النبي ﷺ، شرطًا للتصديق، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ۝٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء:90-93].

والماديّة في المعاجم الفلسفية هي: «المذهب الذي يفسر كل شيء بالأسباب الماديّة»[40] كما أنّها تعني: «الوجود الموضوعي خارج الذهن»[41]. وفي المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة تعريف لها وماذا تعني عند الأوائل منهم: «الماديّة تقابل المثالية، وتقول إنّ الأصل في الموجودات هو المادة، وأنّ كل شيء موجود هو منْ الذرات وأنّه لا يفنى وإنّما يتحلل إلى ذرات تنتشر في الكون وتتنقل في الخلاء وتتحد لتصنع الموجودات تحت ظروف معينة»[42].

يقول هوكنغ عنْ سيادة الماديّة وتحكمها بكل شيء بالسويّة سواء في الكون الماديّ أو في الحياة البيولوجيّة: «بالرغم منْ إحساسنا بالقدرة على اختيار ما نفعله؛ إلّا أنّ وعينا بالأساس الجزئي للبيولوجيا أوضح أنّ العمليات البيولوجية تكون محكومة بقوانين الفيزياء والكيمياء ولذلك فهي محددة تمامًا مثل مدارات الكواكب، وتدعم تجارب علم الأعصاب الحديثة الرؤية القائلة بأنّ دماغنا الماديّ يخضع لقوانين العلم المعروفة التي تحدد أفعالنا، وليس لبعض القوى الموجودة خارج تلك القوانين»[43].

كأنّ الكون والإنسان آلة تحركها الكيمياء والفيزياء، المالكة للقدرة والعقل والإرادة، أين تكريم الإلحاد للعقل الإنسان الذي لا يُؤمن بفعل للعاجز، أين سلطان منْ خلقه ﷻ ومنحه الاختيار؟ ومنْ يحرك قوانين

(39) مبادئ أولية في الفلسفة، جورج بولتيزر (Georges Politzer)، (ص72).

(40) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، (2/ 309).

(41) موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ، أحمد العوايشة، (ص293).

(42) المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، (ص722).

(43) التصميم العظيم، (ص43).

الفيزياء ومعادلات الكيمياء؟ أهي الطبيعة الرب البديل؟

ومثل ما تدعم المصادفة نظريّة التّطور كان قانون الجاذبيّة داعمًا لقوة المادة على الخلق والإيجاد؛ يقول ستيفن هوكينج عنْ الفعل الماديّ للخلق: «لأنّ هناك قانونًا مثل الجاذبيّة، فإنّ الكون يمكنه أنْ يخلق نفسه مِنْ لا شيء، والخلق التلقائي هو السبب في أنّ هناك شيئًا بدلًا مِنْ اللاشيء، فلماذا يكون الكون؟ ولماذا نوجد نحن، ليس من الضروريّ أنْ نستحضر إلهًا لإشعال فتيل الخلق ولضبط استمرار الكون»[44]. ولذا يرى الإلحاد الجديد أنّ قانون الجاذبية الماديّة يُمكنه أنْ يُنشي أكوانًا ويديرها بدقة دون الحاجة لقوى عظمى خارجية، فبقوتها يُنشي الشيء نفسه مِنْ اللاشيء، خلقًا ذاتيًا بفعل الجاذبيّة، وهو ما يُفسر لهم وجود هذا الكون، بجهود ماديّة متواصلة يُكمل بعضها بعضًا، ولكن ما هي المادة الأوّلية التي تشكل منها الكون؟ ومنْ أين جاءت؟ ومنْ أين جاء قانون الجاذبيّة ومنْ يُديره؟؟ ومنْ أين استمد قوته؟ وحاجة الجاذبيّة إلى غيرها أكيدة؛ ومنْ حاجتُه لغيره أكيدة فإنّه غير قائم ولا مستغنٍ بنفسه.

والحقُّ أنّ الماديين جعلوا صفات ربوبيّة الله تعالى للمادة، فكانت الخالق القادر من دون الله تعالى؛ فهي عندهم تتخلق منْ اللاشيء وأنّ العالم سيفنى، يقول المستشرق ليوبولد فايس عنْ سيادة النزعة الماديّة أنّها عبادة الإنسان الأوربي المعاصر: «إنّ الأوروبي المعاصر سواء عليه أكان ديمقراطيًا أو فاشيًا، رأسماليًا أو بلشفيًا، صانعًا أو مفكرًا يعرف دينًا إيجابيًا واحدًا هو التعبد للترقي الماديّ، أيْ الاعتقاد بأنْ ليس في الحياة هدف آخر سوى جعل الحياة نفسها أيسر فأيسر»[45].

- **المطلب الثالث: عرض ربوبيّة الطبيعة لدى الإلحاد الجديد عبر المصادفة:**

تعني المصادفة في المعاجم الفلسفيّة: «اتفاق مجهول العِلّة، أو تزامن لسلسلتين عليتين مستقلتين، أو هي سلب الضرورة»[46]، حيث يرى الإلحاد الجديد أنّ الأشياء والموجودات خُلقت مصادفة دون تنظيم أو قصد أو غاية، لأنّ الأصل في طبيعتها الوجود، والظهور والعدم والاختفاء؛ وفي إطار تثبيت مبدأ خلق المصادفة في الطبيعية يقول لورانس كراوس: «تنبثق يوميًّا أشياء جميلة وإعجازية فجأة من ندف ثلج في صباح شتوي بارد، إلى قوس قزح نابض بالحيوية والحياة، ومع ذلك لم يقترح أيّ شخص آخر غير المتدينين الأصوليين بأنّ كل المصادفة تعني عشوائية الأقدار؛ وفوضى المقاييس العقلية، والعشوائية لا تخلق شيئًا»[47].

ويؤسس الإلحاد الماديّ للمصادفة فينسب إليها فاعليّة ربوبيّة النشأة والمعتقد والحياة والموت، في سبيل نفي الخالق ليوضح أنّه: «ليس وراء نشأة الإنسان غاية أو

(44) ينظر: التصميم العظيم، (ص216).

(45) يُنظر: سلام على مفترق الطرق، محمد أسد، (ص47).

(46) المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، (ص462).

(47) كون من لا شيء، لورانس براون، (ص15-16).

تدبير، إنّ نشأته وحياته وآماله ومخاوفه وعواطفه وعقائده، ليس إلّا نتيجة لاجتماع ذرات جسْمِه عن طريق المصادفة، ولا تستطيع حماسته أو بطولته أو فكره أو شعوره أنْ تحول بينه وبين الموت»[48]. فلا وجود في عقل الملحد لفاعل غير المصادفة.

ومنْ عجب اعتماد الإلحاد الجديد العشوائية والتلقائية الناتجة عنْ المصادفة أصلًا للوجود، جاهدًا في صبغ نظريته بالعلميّة والعقلانيّة والمنطقيّة؛ يؤسس لنظريّة تعطي الفوضى قدرة على الخلق ويأبى أنْ يعتمد نظريّة الخلق بإله قادر لا شريك له في فعله؛ فيدعي أنّ: «نشأة الكون تلقائية، نتيجة لأحداث عشوائية، دون الحاجة إلى صانع، وأنّ الحياة ظهرت ذاتيًا منْ المادة، عن طريق قوانين الطبيعة، وأنّ الفرق بين الحياة والموت فرق فيزيائي بحت، سيتوصل إليه العلم يومًا ما، والإنسان ليس إلا جسدًا ماديًّا يفنى تمامًا بالموت، وليس هناك وجود للروح كنفخة إلهية، وليس هناك بعث بعد الموت، فليس هناك حاجة إلى القول بوجود إله»[49].

وعليه فلا غرابة -وقد اعتمد المصادفة خالقًا- حين يؤسس الإلحاد قواعدًا غير مقبولة عقلًا ولا شرعًا؛ مثل اعتقاده جازمًا إمكان وجود شيء منْ لا شيء، دون حصول مشكل في العقل أو الفطرة: «منْ الملاحظات المعمليّة الجميلة إلى حد مدهش، ومنْ النظريات التي تشكل أساس الفيزياء المعاصرة أنّ الحصول على شيء منْ لا شيء ليس مشكلة، وبالفعل ربما يكون ضروريًّا لكي يصبح الكون موجودًا أنْ يخرج شيء ما من لا شيء»[50].

لذا يجد الناظر بوضوح في مجتمع الغرب سيادة الفوضى الأخلاقية والجريمة والغياب القيمي نتيجة أصيلة لطغيان الفكر الإلحاديّ المادي الخالي من تحقق الغاية من الخلق، الحامل لمغالطات عقليّة بيّنة: «إذْ الأمر لا يتطلب الكثير منْ الذكاء ليوقن أيّ عاقل منْ تفشي الجريمة وأبشع السلوكيات إذا انتفت أو اختفت قيمة الصواب والخطأ والثواب والعقاب، وسادت المصلحة الفرديّة وعقيدة البقاء للأقوى أو الأصلح، وهو ما لا يتوفر إلّا في ملة واحدة فقط وهي الإلحاد»[51].

***

المبحث الثاني

نقض ربوبيّة الطبيعة لدى الإلحاد الجديد

- **المطلب الأول: نقض ربوبيّة الطبيعة لدى الإلحاد الجديد بالأدلة الشرعيّة:**

يتفرد المنهج القرآني باحتوائه على جميع أنواع الأدلة الموافقة للعقل والفطرة السّليمة؛ وأنّ: «أدلته تتميز بالثبات؛ لأنّه خطاب الله تعالى للبشر كلهم، وهذا البشر

(48) مقال: المادية وحدها لا تكفي ضمن كتاب الله يتجلى في عصر العلم، وليام تبلوتشي، (ص57).

(49) وهم الإله، تشارلز دوكنز، (ص15).

(50) كون من لا شيء، لورانس كراوس، (ص18).

(51) أقوى براهين د. جون لينكس في تفنيد مغالطات منكري الدين، (ص561).

متغير النظرة إذا ترك يفكر بلا ضوابط، زيادة على أنّ البشر تعتريه حالات مِنْ الضعف»[52].

وقد بيّن الله ﷻ حقيقة خلق الطبيعة؛ والغاية منْ خلقها ومصيرها، وعلاقة الإنسان بها، يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود:7].

ويؤكد الوحي أنّ وجود الموجودات ليس صادرًا عنْ تطور أو ماديّة أو مصادفة، إنّما هي خلق لله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف:51]، وإنْ غلب على هذا العصر دعوة العلميّة في اعتماد الأفكار والمبادئ؛ لكنه ظلّ عاجزًا حائرًا في الفصل في مسألة الخلق، فإنْ كان للعلم قدرته على القول في عالم الشهادة فإنّ مسألة بدء الخلق غيب مطلق، لا سلطان له عليها: «فإنّ مسألة خلق الكون والأرض والحياة والبشر يبدو أنّها ستظل أسرارًا تقع خارج نطاق العلم وتتجاوز حدوده، إنّ الادعاءات الخاصة بالظهور الأول للمخلوقات لنْ تتعدى كونها افتراضات تخمينية، فلا أحد شهد هذه الأحداث ويستحيل على العلم تكرار أوّل عملية خلق من خلال التجارب العلمية»[53].

وفي نقض فرضية الخلق وفق نظريّة التّطور شرعًا؛ ذلك أنّ المتأمل في خصائص المخلوقات وطبيعتها، يتضح له ما يؤكده الوحي منْ حقيقة الخلق المباشر، وعجز غير الله تعالى عنْ الإيجاد، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:16]، وقوله سبحانه عن مراحل خلق الإنسان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج:5]، ومنْ حديث أبي هريرة ﷺ، في حديث الشفاعة الطويل عن خلق أبي البشر عليه السلام؛ وفيه: «فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغهم، ألا تنظرون منْ يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، اذهبوا إليه، ألا تنظرون منْ يشفع لكم إلى ربكم؟ فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه»[54].

وعنْ أبي هريرة ﷺ، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله كتب كتابًا قبل أنْ يخلق الخلق: «إنّ رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش»[55]

(52) علاقة صفات الله تعالى بذاته، الكردي، (ص28).

(53) التطور نظرية علمية أم أيديولوجيا؟، عرفان يلماز، (ص37).

(54) رواه البخاري، رقم: (7410)، ومسلم، رقم: (193).

(55) صحيح البخاري، باب: باب قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: 21-22]، رقم: (7155).

فلا خالق مع الله تعالى.

كما أنّ الطبيعة خلق الله تعالى القادر على خلقها بما فيها من تعقيدات للكائنات الحيّة وليست طفرات كما عند نظريّة التّطور[56]، ولا يمكن اعتماد الطفرات التي هي غير ثابتة وغير منضبطة؛ دليلًا على الخلق وفق التّطور، يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: 27].

أمّا رفض فرضية الخلق وفقًا للنظريّة الماديّة شرعًا فهو قائم على تأكيد حقيقة عجز المادة أو الطبيعة عن الفعل، وذلك ناقض لربوبيّة الطبيعة وفقًا للمبدأ المادي؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:75- 79]، وينفي الشرع القدرة عنْ الفعل لما تكلم عنْ دعاء غيره اعتقادًا في قدرتها على الإجابة، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج:73].

يقول ابن القيم رحمه الله: «ففي هذا أعظم دلالة وأوضحها على أنّ العالم مخلوق لخالق حكيم قدير عليم، قدّره أحسن تقدير، ونظمه أحسن نظام»[57].

وتبعاً للقياس أو المبدأ الماديّ للتثبت أيضًا، يَرِدُ سؤال؛ هل شهد الإلحاد بداية الخليقة وبذلك ملك الدليل الماديّ حجة على زعمه؟، يقول تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف:51]، كما أنّ الواقع العلمي المشاهد يكذب نظريّة الخلق منْ لا شيء؛ إذ كيف يكون شيء من لا شيء، ويتعارض ذلك مع المسلمة العقلية في معرفة حقيقة الموجودات، يقول الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور:35-36].

إنّ بناء الإلحاد قائم على الإنكار والشكّ وعدم اليقين، وأنّ الكون وكل شيء خُلق أو تحول منْ لا شيء، وإنّ أعظم إنكار له تعلق بأعظم قضيّة وجوديّة وهي وجود الخالق، فإنْ سَهُل على النّفس هذا الإنكار سهُل عليها أي إنكار؛ تمامًا كما تقول الموسوعة عنْ دلالة الإلحاد النظريّة إنّه: «مذهب هؤلاء الذين لا يشعرون بالحاجة إلى التمادي في طريق السببيّة»[58] وعليه فلا مانع في الإلحاد منْ وجود الكون من لا شيء.

(56) يُنظر: صندوق داروين الأسود: تحدي الكيمياء الحيوية للتطور، د. مايكل بيهي، ترجمة: د. مؤمن الحسن، د. أسامة إبراهيم وآخرون، يوضح الكتاب أنّ التعقيدات في بعض الأنظمة البيولوجية لا يمكن تفسير نشأتها عبر الصدفة أو الانتقاء الطبيعي.

(57) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم الإرادة، ابن قيّم الجوزية (691-751)، (2/ 587).

(58) موسوعة لالاند الفلسفية، اندريه لالاند، (ص107).

أمّا نقض فرضية الخلق بالمصادفة[59] فإنّ الوحي ينفي أنّ تكون للصدفة القدرة على الخلق، وكونها تنكر خلق الله تعالى كل شيء بمقدار، كما أنّه ليس في أقدار الله تعالى مصادفة فكل شيء مقدر بدقة وإتقان ليسا في مقدور المصادفة؛ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:49]، ويقول رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر، حتى العجز والكيس، أو الكيس والعجز»[60]. وعنْ نفي المصادفة يقول هارون يحيى: «إنّ المادة العضوية إنّما تستطيع التكاثر إذا وُجدت في صورة خلية كاملة التّطور وبها كل أعضائها، وفي بيئة مناسبة يمكنها فيها أنْ تحيا وتتبادل المواد وتحصل منها على الطاقة، وهذا يعني بعبارة أخرى أن أوّل خلية حيّة وُجدت في الكون قد وُجدت دفعة واحدة بكل تركيباتها المعقدة»[61]، وإنّ في خلق الأشياء مصادفة ترسيخ للعشوائية ونفي لصفة الغاية من وجودها[62]، والناظر في ما خلق الله تعالى يؤكد وجود الغاية من خلقها وأنّ كل فعله ﷻ حق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر:85].

كما أنّ في توريث صفات المخلوقات لمن جاء بعدها دليل على نفي المصادفة ما يُعرف بالبصمة الوراثية في المخلوقات نفي صدقية المصادفة قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:6]، ويقول النبي ﷺ: في قصة الرجل الذي جاءه شاكيًا من أنّ امرأته ولدت غلامًا أسوداً بيان توريث صفات الآباء للأبناء، فقال له ﷺ: «هل لك إبل؟» قال: نعم، قال: «فما ألوانها؟» قال: سود، قال: «هل منها مِن أورق؟» قال: نعم، قال: «فأنى له ذلك؟» قال: عسى أن يكون نزعه عرق، قال: «وهذا - يعني: ولده - عسى أن يكون نزعه عرق» قال الرجل: فقدم عجائز من بني عجل فأخبرنَه أنه كان للمرأة جدة سوداء»[63].

ويبيّن الوحي أنّ الخلق الدقيق في الكون ينفي الخلق بالمصادفة؛ يقول الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل:88]، ويبيّن أنَّ وجود الكون على سبيل الإتقان مانع منْ كونه وُجد بلا مُوجِد؛ وقال اللهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك:3-4].

كما أنّ للكون مدبرًا لشؤونه سيّره وفق نُظِم دقيقة لا تقبل الفوضى أو المصادفة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس:3].

(59) يُنظر: تصميم الحياة: اكتشاف علامات الذكاء في النظم البيولوجية، ويليام ديمبسكي، جوناثان ويلز.

(60) صحيح مسلم، رقم: (2655).

(61) خديعة التطور، الانهيار العلمي لنظرية التطور وخلفياتها الأيديولوجية، هارون يحيى، ترجمة سليمان بايبارا، (ص148).

(62) يُنظر: قدر الطبيعة، قوانين الحياة تُفصح عنْ وجود الغاية في الكون، مايكل دنتون.

(63) صحيح البخاري، رقم: (7314)، ومسلم، رقم: (1500).

ويقين المؤمن ونظرته أنّ الطبيعة والكون كله خلق الله تعالى لا يخرج عن عبوديته ولا قيام له بغيره: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج:18].

- **المطلب الثاني: نقض ربوبيّة الطبيعة لدى الإلحاد الجديد بالأدلة العقليّة:**

يُنكر العقل مبدأ ربوبيّة الطبيعة عند الإلحاد الجديد وفقًا للتّطور والماديّة والمصادفة، فغير مسوّغ له امتلاك الطبيعة للفعل المطلق المؤهل لها للربوبية؛ إذ كيف للتطور أن يفسر نشأة الحياة من مادة غير حيّة أيْ من الطبيعة الجماد، كما يفترض العقل أنّ الزيادة في المورثات بإمكانها وفق التّطور إنتاج كائنات جديدة فائقة الإمكانيات والخصائص لم تكن في الكائن الحي نفسه، كما أنّ في فرضية الخلق بالتّطور نفي للعلة والغاية، أمّا اعتماد نظريّة التّطور الطفرات الفجائية للكائنات الحيّة سببًا للخلق وتبدلات صور الكائنات الحيّة، إنّه: «ادعاء أقرب إلى الاستحالة؛ فحتى الطفرة التي تغير جزءًا صغيرًا جدًا من العضو تتسبب في تغير يقيد وظائف العضو ويؤذيه؛ بالإضافة إلى ذلك، لا يعني تغير العضو أنّ الكائن الحي سيتغير بشكل كليّ لأن ذلك سيكون مضرًا لهذا الكائن وسيتسبب في موته نتيجة فساد تكامل نظام الكائن الحي»[64].

وفي كتاب أقوى براهين لجون لينكس (John Lennox)، يقول ناقلًا قول ماكس بلانك (Max Planck) أحد أشهر مؤسسي ميكانيكا الكم والفائز بجائزة نوبل؛ يقول: «العلم الطبيعيّ لا يستطيع حل اللغز المطلق للطبيعة، وذلك لأنّه في التحليل الأخير نكون نحن أنفسنا جزءًا من الطبيعة، وبالتالي جزء من اللغز الذي نحاول حله»[65].

لذا فإنّ الطفرات العشوائية والانتقاء الطبيعي لا تكفي لشرح التعقيد، أو أن تُنتج تحسينات وظيفية، وغالبًا ما تكون ضارة أو محايدة، فكيف يمكن أنْ تُنتج أعضاء معقدة مثل الدماغ أو القلب، ويؤيده عالم الوراثة جون سانفورد (John Sanford) في كتابه «التدهور الجيني وغموض الجينوم» أنّ الطفرات لها أنْ تسبب تدهورًا جينيًا بدلًا من تحسين الكائنات»[66].

وفقًا لنظريّة التّطور، ينبغي أنْ نجد عددًا كبيرًا من الحلقات الانتقالية بين الأنواع، لكن السجل الأحفوري يظهر «قفزات» مفاجئة بين الأنواع دون وجود أشكال

(64) ينظر: التطور نظرية علمية أم أيديولوجيا؟ أ.د. عرفان يلماز، (ص89).

(65) أقوى براهين د. جون لينكس في تفنيد مغالطات منكري الدين، (ص66).

(66) في كتابه المذكور يجادل الدكتور جون سانفورد، وهو أستاذ متقاعد من جامعة كورنيل ومتخصص في علم الوراثة، فرضية التطور الأساسية، وهي أنّ الحياة نتجت عن طفرات عشوائية وانتقاء طبيعي، أنها غير صحيحة، مقدماً أدلة تشير إلى أن الجينومات الحية تتدهور بمرور الوقت بسبب تراكم الطفرات الضارة بشكل طفيف، وأنّ الانتقاء الطبيعي غير قادر على إزالة هذه الطفرات بكفاءة، مما يؤدي إلى انخفاض تدريجي في اللياقة الوراثية، ينظر: توفر الكتاب بموقع أمازون: (https://n9.cl/j8qio).

وسيطة واضحة، وفي كتابه «صندوق داروين الأسود» يبين عالم الكيمياء الحيوية مايكل بيهي (Michael Behe) أنّ بعض الأنظمة البيولوجية تحتاج إلى جميع مكوناتها لتعمل، مما يشكك في تطورها التدريجي[67]، وعنْ المصادفة يناقش كتاب بصمة في الخلية[68] لستيفن ماير (Stephen Meyer) تعقيد الحمض النووي (DNA) وصعوبة تفسير ظهوره مصادفة.

وإنّ التّطور لا يقدم تفسيرًا مقنعًا لكيفية ظهور الوعي، الإرادة الحرة، أو الأخلاق من عمليات ماديّة بحتة، وهذا الفيلسوف توماس ناجل (Thomas Nagel) في كتابه «العقل والكون» الذي ينتقد فيه المادية الداروينية وأنّ الوعي لا يمكن تفسيره فيزيائياً، ولا يمكن اختزاله إلى كيمياء الدماغ[69]، أمّا عالم الأحياء مايكل دنتون (Michael Denton) في كتابه التّطور نظريّة في أزمة – ينتقد فكرة أنّ الطفرات العشوائية يمكن أنْ تنتج تعقيدًا متكاملًا، يقول: «تضمنت نظريّة دارون أنّ كل تطور يحدث بوساطة التفاعل بين عمليتين أساسيتين؛ هما الطفرة العشوائية والانتخاب الطبيعي»[70] وعليه فإنّ تولد الاتقان والدقة والقصد والغاية من العشوائية وفق نظريّة التّطور أو المصادفة لا تقود إلى الاستدلال على ربوبيّة الطبيعة.

كما أنّ ادعاء ربوبيّة الطبيعة وفق قانون الماديّة بطلان بيّن؛ ذلك أنّ العقل يربط بين السبب أيْ الخالق والمسبَب المخلوق، وينكر وجود أشياء من لا شيء، أو من عدم، حجة على ربوبيّة الطبيعة؛ قال اللهُ تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور:35-36].

ومنْ القواعد العقليّة أنّ الموجود إمّا خالق وإمّا مخلوق، ولكل وجود منهما ما يخصه؛ وبضرورة العقل وجب وجود موجود قديم غني عمّا سواه، وقد عُلم بالاضطرار أنّ المحدَث لا بد له من محدِث، والممكن لا بد له من واجب، ويستحيل خلق منْ غير خالق، أو أنّهم خلقوا أنفسهم، لذا تعين أنّ لهم خالقا خلقهم.

يقول أنتوني فلو عن الأسئلة الوجوديّة، فالفلاسفة: «لم يقولوا سوى القليل عنْ الطبيعة وأصل الحياة، السؤال الفلسفيّ الذي لم يتم الإجابة عليه في دراسات أصل الحياة هو: كيف يُمكن لكونٍ ذو مادة لا عقل لها أنْ تنتج كائنات لها نهايات جوهريّة ولها قدرات على التكاثر ومشفّرة كيميائيًّا؟»[71].

وزعم الإلحاد الجديد أنّ وسع العلم أنْ يثبت تمتع العدم واللاشيء بالقدرة على الخلق والإبداع، بفاعليّة قانون الجاذبية؛ فمن أين جاء قانونها؟ هل هو سابق لوجود

(67) ينظر: التطور: نظرية في أزمة، د. مايكل دنتون، ترجمة: د. آلاء حسكي، د. مؤمن الحسن – مهند التومي.

(68) ينظر: كتاب بصمة في الخلية، لستيفن ماير(Stephen Meyer).

(69) ينظر: مركز دلائل: رابط: https://2u.pw/TYXTC مراجعة كتاب: العقل والكون: لماذا سقطت الرؤية المادية النيو-داروينية للطبيعة؟، تاريخ الزيارة: 23/ 12/ 1446هـ.

(70) ينظر: التطور: نظرية في أزمة، د. مايكل دنتون، (ص53).

(71) هناك إله، كيف غير أشهر ملحد رأيه؟، انتوني فلو، (ص148).

الكون؟ أم لاحق به؟ وهل كل ما في الكون خاضع لهذا القانون؟ ومن يُحرّك هذا القانون ليقدم فعلًا خارقًا؟ وهل الجاذبيّة عاقلة؟ قادرة؟ الحق إنّ فقدان الإجابة عن أسئلة قانون الجاذبية يمهّد لغياب وجود غاية من خلق الكون.

وقد بيّن كثير من العلماء أنّ ما يُعرف بقانون الجاذبية مشكوك فيه[72]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ملخصًا لحقيقة سفسطة الإلحاد الجديد: «فإن السفسطة إما خيال فاسد وإما معاندة للحق، وكلاهما لا ضابط له، بل هو بحسب ما يخطر للنفوس من الخيالات الفاسدة والمعاندات الجاحدة»[73].

يقول انتوني فلو أشهر الملحدين في زماننا الذين عادوا إلى الإيمان عنْ عجز المصادفة إله الملحدين: «ما قدمه اكتشاف الحمض النوويّ أوضَحَ التعقيد الشديد غير القابل للتصديق للترتيبات اللازمة لخلق حياة؛ وهو الأمر الذي يُوجب أنْ يكون هناك ذكاء خارق يجعل هذه العناصر المختلفة تعمل معًا، إنّه التعقيد الخارق لهذه العناصر والدقّة الهائلة في الطرق التي تتفاعل فيما بينها، واجتماع هذين الأمرين في الوقت المناسب بالصدفة هو ببساطة أمر مستحيل»[74].

ويقول بول ديفيز[75] عن عجز الطبيعة عن الوعي والإدراك والتصرف: «من الواضح أنّ الكون لا يمكن أنْ يكون مفسِّرًا ذاتيًّا بدون أنْ يمتلك القدرة على تفسير ذاته، وإذا كان لا بد من تفسير كامل للكون كدارة، فيتوجب على الكون أنْ يعلم وأنْ يفهم القوانين المسؤول عنها منْ أجل خلق هذه القوانين، كيف يمكن أنْ يكون الأمر شيئًا آخر غير هذا؟»[76] ويقول بول ديفيز مستنكرًا أنّ الكون أوجد وأدار ذاته: «من السهل القول بأنّ الكون صمم وعيه الذاتي من خلال نوع من أنواع التولد الذاتي لكن كيف تمّ ذلك بالضبط؟ وبأيّة آلية فيزيائية؟»[77].

- **المطلب الثالث: نقض ربوبيّة الطبيعة لدى الإلحاد الجديد بالأدلة الفطريّة.**

مفهوم الفطرة في اللغة:

الفِطرة لغةً: «تعني: الابتداء، والاختراع»[78]،

(72) مليشيا الإلحاد، العجيري، أقوى براهين في الرد على الإلحاد، د. جون لينكس، وهم دوكينز، الأصولية الملحدة وإنكار الإله، ليستر إدغار ماكغراث، التدبير الإلهي الأساس العلمي لعالم منطقي، بول ديفيز.

(73) شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، (ص62).

(74) هنالك إله كيف غيّر أشهَر ملحد رأيه؟ انتوني فلو، (ص92-93).

(75) بول تشارلز وليام دافيز عالم فيزياء بريطاني مشهور ولد في 1946م مؤلف ومقدم برامج، وأستاذ جامعي في جامعة ولاية أريزونا ومدير مركز بيوند «مركز المفاهيم الأساسية في العلم»، يشارك في معهد الدراسات الحكومية في جامعة شابمان في كاليفورنيا، كما تولى مناصب جامعية أخرى في جامعة كمبردج وجامعة لندن وجامعة نيوكاسل وجامعة أدليد وجامعة ما كوري، ومجال اهتماماته البحثية هو الفيزياء الكونية والنظرية الكمومية، يُنظر: كتاب الاقتراب من الله، (ص347).

(76) الجائزة الكونية الكبرى، لماذا الكون مناسب للحياة، بول ديفيز، (ص342).

(77) الجائزة الكونية الكبرى، لماذا الكون مناسب للحياة، بول ديفيز، (ص343).

(78) لسان العرب ابن منظور، (5/ 56).

وتعني: «الخِلْقَة»[79]، يقول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:30]، وفي السنّة عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ما مِن مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ، أو يُمَجِّسَانِهِ، كما تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِن جَدْعَاءَ»[80]، وعرفها الراغب الأصفهاني بقوله: «فَطْرُ الله الخلقَ: هو إيجادُه الشيءَ وإبداعُه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال»[81].

مفهوم الفطرة اصطلاحًا:

هي الطَّبع السَّويُّ، والجِبلَّة المُستقيمةُ التي خُلِقَ النَّاسُ عليها، وقال الشيخ السعدي رحمه الله في تعريفها: «هي الخِلْقةُ التي خلق اللهُ عباده عليها وجعلهم مفطورين عليها وعلى محبة الخير وإيثاره وكراهية الشر ودفعه، وفطرهم حنفاء مستعدين لقبول الخير والإخلاص لله والتقرب إليه»[82]، وعرّفها الراغب الأصفهانيّ بقوله: «فَطْرُ اللهِ الخلقَ: هو إيجادُه الشيءَ وإبداعُه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال»[83]، فهي الفطرة السّليمة التي تنسجم وعقيدة التوحيد، يقول القرطبي رحمه الله: «قال العلماء الفطرة هي الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل، التي هي معدة، ومهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله، ويستدل بها على ربه، ويعرف شرائعه ويؤمن به»[84] ويقول الشوكانيُّ في الراجح في تعريفها اصطلاحًا: «أنها في الأصل: الخلقة، والمراد بها هنا الملة، وهي الإسلام والتوحيد؛ فهي الإسلام الذي خلق الله عليه الناس»[85]، فإنّ من أصل الإيمان بالله الذي لا شك فيه، ما هو مركوز في قلب كل بشر، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنّ الفطرة إقرار ومحبة والمحبة مشروطة بالعلم، ثمّ خلص إلى أنّ الفطرة هي أصل الحنيفيّة السمحة التي خلق الله خلقه عليها، على الإسلام؛ يقول رحمه الله: «وهذا هو الدين الذي فطر الله عليه خلقه، فإنّه محبوب لكل أحد، فإنّه يتضمن الأمر بالمعروف الذي تحبه القلوب، والنهي عن المنكر الذي تبغضه، وتحليل الطيبات النافعة وتحريم الخبائث الضارة»[86] وفي مجموع الفتاوى لما سئل عنها في حديث: «كل مولود يولد على الفطرة»[87] ما معناها قال: «الصواب أنها فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي فطرة الإسلام، وهي الفطرة التي فطرهم عليها وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة»[88].

(79) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (4/ 510)، مادة: (فطر).

(80) سنن أبي داود، كِتَاب السُّنَّةِ، بَابٌ فِي ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ، حديث رقم: (4156).

(81) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، (2/ 494).

(82) بهجة قلوب الأبرار، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ص48).

(83) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، (4/ 494).

(84) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (7/ 29). ينظر: قول ابن عبد البر ورد شيخ الإسلام فيه، درء تعارض العقل والنقل، (8/ 442).

(85) فتح القدير، الشوكاني، (4/ 224).

(86) درء تعارض العقل والنقل، (8/ 456).

(87) سبق تخريجه.

(88) مجموع الفتاوى، (4/ 245).

وموقف الفطرة الإنسانية من ربوبيّة الطبيعة وفقًا لنظريّة التّطور أو الماديّة أو المصادفة منافر لها ومصادم وذلك في مجموعة منْ المسائل التي تؤكد بطلان الإلحاد في قوله بربوبيّة الطبيعة، وتتمثل في الآتي:

أولًا: ربوبيّة الطبيعة وفقًا لهذه القواعد الثلاث تناقض الميل الفطري للإيمان بوجود الخالق:

فإنّ الفطرة السّليمة هي التي تعتقد بوجود خالق للكون وأنّه تعالى الأوّل بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، ما يجعل فكرة نشوء الحياة منْ لا شيء وفقًا للمبادئ الثلاث غير مقبولة ولا متجانسة مع البناء الفطري للإنسان؛ ولا يقين لها بسبب عجز الطبيعة عن الإيجاد والإبداع، قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:30].

ويشهد لذلك لجوءُ الإنسان وفزعه إلى خالقه سُبحانه عند الشِّدَّة والحاجة، سواءٌ كان هذا الإنسان مُوحِّدًا أو ملحدًا، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان:32]. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: 172-174]، وفي حديث أبي هريرة ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: «مَا منْ مولود إِلَّا يولد على الفطرة، فأَبواه يُهوِّدانه أَو يُنصِّرانه أَو يُمجِّسانه»[89]. قال شيخ الإسلام ابنُ تَيميَّةَ رحمه الله: «أكثر الناس على أنّ الإقرار بالصانع ضروري فطري، وذلك أنّ اضطرار النفوس إلى ذلك أعظم من اضطرارها إلى ما لا تتعلق به حاجتها، ألا ترى أنّ الناس يعرفون من أحوال من تتعلق به منافعهم ومضارهم؛ كولاة أمورهم، ومماليكهم، وأصدقائهم، وأعدائهم، فهم يحتاجون إليه من جهة ربوبيته؛ إذ هو الذي خلقهم، وهو الذي يأتيهم بالمنافع، ويدفع عنهم المضار»[90].

ثانيًا: ربوبيّة الطبيعة وفقًا لأسس الإلحاد الثلاث تناقض الميل الفطري إلى وجود الغاية والمصير للخلق:

فإنّ الفطرة الإنسانية تدرك أنّ لكل شيء سببًا وغاية، وعندما تنظر إلى تعقيد الكائنات الحية، وما فيها من النظام والدقة في الكون فإنّها تستبعد فكرة أن كل هذا جاء بالصدفة المحضة أو وفقًا للتطور أو المبدأ المادي للحياة، وإنّ من تفسيرات نظريّة التّطور خاصة في نسختها المادية الداروينية[91]، أنّ الحياة تكونت وفق سلسلة من التغيرات

(89) صحيح البخاري (2/ 94)، (1358)، صحيح مسلم (4/ 2047)، (2658).

(90) يُنظر: درء تعارض العقل والنقل، (3/ 135).

(91) هي رؤية فلسفية تدمج بين المادية -الإيمان بأن المادة هي الأساس الوحيد للواقع- والفكر الداروينى -نظرية التطور عبر الانتقاء الطبيعي- وتعتبر أنّ التطور البيولوجي يُفسَّر بالكامل عبر آليات مادية مثل الطفرات والانتقاء الطبيعي، دون حاجة إلى أي عوامل غيبية أو غائية، ينظر: كتاب وهم الإله، ريتشارد دوكنز (Richard Dawkins) =

العشوائيّة، وهذا يتنافى والفطرة السّليمة، يقول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:115- 116].

تنسجم الفطرة السّليمة مع فكرة التّطور إن كان ضمن تقدير إلهي، ما يجعل لكل شيء تفسير وقبول عقلي وسكون فطريّ؛ ويغيب ذلك الشعور بتصور الفاعليّة بالمصادفة والعشوائية، والذي يقود إلى العبثية والفوضى والضلال عن المعنى والغاية.

ثالثًا: ربوبيّة الطبيعة وفقًا للأسس الإلحاديّة الثلاثة تناقض الميل الفطري إلى الاعتقاد بكرامة الإنسان وتفرده:

بينما يرى الإلحاد الجديد أنّه مجرد حلقة في سلسلة حيوانية بلا تفرد، وُجد نتاج عملية بيولوجية ليس لديه وعي وروح وغاية خاصة، مادة أو آلة خاضعة لقوانين الكيمياء والفيزياء تميل الفطرة السّليمة إلى الاعتقاد بأن الإنسان كائن مميز ومكرّم وله خصوصيّة بين غيره من المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:70].

لذا فإنّ حصر الإنسان في كونه مجرد آلة بيولوجية وأنّ كل أفكاره ومشاعره وميوله ورغباته مجرد نتائج فيزيائية لا أكثر، مرفوض بالحس الفطري بما للإنسان من وعي وإرادة واختيار، فالفطرة الإنسانية تشعر بوجود يتجاوز المادة، مثل الوعي، الروح، الحب، الضمير، الجمال، وهذا ما ليس في مقدور الفيزياء أو الكيمياء أو المصادفة أو التّطور تفسيره كما أنّ منطق الفطرة يُدرك أنّ الأشياء لا تنشأ تلقائيًا من العدم، كما أن التعقيد لا يأتي من الفوضى العشوائية أو المصادفة المحضة دون توجيه، واليقين الفطري أنّ الإنسان جسد وروح؛ وأنّ البعد الروحي هو ما يميزه عن المخلوقات الأخرى ويحمله على التفكير المجرد والإيمان بالغيب والسمو نحو القيم والمعاني العليا كالخير والحب والجمال والشوق إلى الخلود والبحث عن الغاية؛ يقول ألكسيس كاريل، (Alexis Carrel): «إنّ نظريات النشوء والارتقاء هي مصدر كل الهموم الإنسانية وإنها ليست إلا حكايات خرافية وجدت من يحميها ومن يقدمها للجماهير بحلة خادعة لا يعرفها كثير من الناس»[92].

رابعًا: ربوبيّة الطبيعة وفقًا لأسس الإلحاد المعاصر تناقض الميل الفطري إلى القيم الأخلاقية:

إنّ الفطرة الإنسانية تؤمن بوجود الأخلاق والقيم الثابتة، بينما بعض تفسيرات التّطور تعتبر الأخلاق مجرد نتائج للانتقاء الطبيعي، كم أنّ فكرة البقاء للأصلح وفقًا لحتمية التّطور توحي بفهم يُؤدي إلى تبرير الظلم والصراع

=الفصل الرابع يشرح دوكنز كيف أن الانتقاء الطبيعي الداروينى يُقدم تفسيرًا ماديًا للتعقيد البيولوجي، دون حاجة إلى مصمم ذكي، وكتاب: داروين فكرة الخطيرة، دانيال دينيت (Daniel Dennett) يناقش الفصل الثاني كيف أن الداروينية تستبعد التفسيرات غير المادية للظواهر البيولوجية والإنسانية.

(92) ينظر: الإنسان ذلك المجهول، ألكسيس كاريل، (Alexis Carrel)، (ص56).

وغياب المبرر الأخلاقي أو وتبرير الظلم الاجتماعي، وهو يتعارض مع إحساس الفطرة السّليمة بالرحمة والعدل والمساواة، وفي اعتماد الإنسان للرؤية المادية المحضة للتطور، بناء قاعد للتشكيك في الأسس الأخلاقية وفاعليتها، وهذا يتعارض مع ميل الإنسان الفطري للعدالة والرحمة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:34].

كما أنّ في اعتقاد أنّ كل الأشياء وليدة المصادفة، تضاد الإيمان الفطري أنّ العدل خير مراد تحصيله والظلم شر مراد الابتعاد عنه، وذلك من القيم الأخلاقية المترسخة في وجدان الإنسان، والفاعلية المادية التي تقوم على الصدفة والتي تُرجع الأخلاق إلى عمليات بيولوجية أو اتفاقات اجتماعية؛ لن تتمكن منْ أن تبرر ملازمة القيم الأخلاقية للفطرة الإنسانية، ولو كانت هذه القيم مجرد تفاعلات كيميائية في الدماغ، فمن أين يأتي شعور الإنسان بضرورة تحقيق العدل والحاجة إليه، ذلك أنّ الإحساس الفطري في النفس يقتضي محبة الخير وكراهية الشر متى ما توفرت شروط هذا المقتضى وانتفت موانعه، فالفطرة السّليمة هي: «الخلقة التي خلق الله عباده عليها وجعلهم مفطورين عليها وعلى محبة الخير وإيثاره وكراهية الشر ودفعه، وفطرهم حنفاء مستعدين لقبول الخير والإخلاص لله والتقرب إليه»[93].

ويشهد الواقع أنّ في الكون ما هو مشاهد منه ما هو غائب يُعرف بآثاره، وأنّ الإنسان لا يعيش بالمادة فقط، بل لديه إحساس بالجمال، والتأمل، والمشاعر العميقة، الذكريات والأحلام هذه الجوانب لا يمكن تفسيرها بالمنطق الماديّ فقط، مما يدفع الإنسان إلى الإيمان بوجود وأهميّة البُعد الروحيّ فيه الذي يصله بالله تعالى، ويغيب ذلك عن الإلحاد الجديد[94].

وبالجملة فإنّ رؤية الإلحاد الجديد لربوبيّة الطبيعة مناقضة للشرع والعقل الصريح أو الفطرة السويّة، وقد أثبتت الأبحاث العلميّة عن حقيقة فطريّة الإيمان عند الأطفال: «إنّ النُّظم في العقل البشري التي تنشأ مبكرًا تجعلنا نُولَدُ مؤمنين، وأنّ الإيمان بالآلهة أمرٌ محتومٌ، ويشغل مساحة مرغوبة في طريقة تفكيرنا، وأنّ مفهوم الآلهة سهل الاستيعاب والقبول، مع نمو نُظم ذهنيّة معيّنة تنمو باكرًا عند الأطفال تؤسس للإيمان الدينيّ»[95].

***

الخاتمة

النتائج التي انتهى إليها البحث:

1- إنّ الإلحاد الجديد بذل جهودًا كبيرة لإثبات ربوبيّة الطبيعة حتى لا يدع مجالًا لفرضيّة وجود الخالق،

(93) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، ابن سعدي، (ص64).

(94) ينظر: الإنسان يبحث عن المعنى، للطبيب النفسي، فيكتور فرانكل.

(95) فطريّة الإيمان، كيف أثبتت التجارب أنّ الأطفال يُولدون مؤمنين بالله؟، جوستن باريت، (ص32).

دعمًا لمبدأ الإلحاد، حيث جعل نظريّة التّطور والمصادفة والماديّة أصولًا لدعم رؤيته في ربوبيّة الطبيعة؛ ونسبة الفعل المطلق لها والقدرة على الإيجاد.

2- انتهى البحث إلى بيان سقوط فكرة ربوبيّة الطبيعة وتعارضها مع الأصول الشرعية والمبادئ العقلية والثوابت الفطرية، وأنّ الطبيعة هي من خلق الله تعالى، وأنّه لا حول ولا قوة إلّا لله تعالى.

3- أكد البحث تكامل الوحي والعقل والفطرة في إثبات وجود الله تعالى وأنّ له الرُّبوبيّة لا شريك له في ملكه وفعله سبحانه، وأكّد قدرة عقيدة التوحيد على إبطال مسالك أهل الزيغ والانحراف والرد عليهم بما يتناسب وادعاءاتهم، وعصرهم.

التوصيات: يوصي البحث بالآتي:

1- تتبع النشاط الإلحاديّ بأنواعه في عصرنا بالبحوث الأصيلة المستندة على ثوابت العقيدة بالرد عليها وبيان الصواب منْ الفكر والاعتقاد، نحو: منهج الحجاج العقليّ في الأمثال القرآنية في تفنيد شبهات الإلحاد: دراسة نقديّة عقديّة، أو: الرد على الإلحاد في القرآن الكريم من خلال القصص القرآني: دراسة تحليليّة عقديّة.

2- صياغة مناهج تعليميّة في مستويات التعليم المختلفة منْ شأنها تحصين الجيل المسلم ضد شبهات الإلحاد عامة والإلحاد الجديد تحديدًا، وبناء القدرة النقديّة بالرد على ما يستجد من نظرياته.

3- تأسيس مراكز بحثيّة علميّة متخصصة في إنتاج ورفد المكتبة الإسلامية بمؤلفات راسخة وقويّة للرد على أنواع الانحرافات الفكريّة في بلاد الإسلام أو الوافدة إليها.

***

قائمة المصادر والمراجع

أصل الأنواع. داروين، تشارلس. ترجمة: مجدي محمود المليجي، ط1، مصر: المجلس الأعلى للثقافة، 2004م.

أقوى براهين د. جون لينكس في تفنيد مغالطات منكري الدين. جمعه وعلق عليه: أحمد حسن، ط1، الرياض: مكتبة مؤمن قريش، مركز دلائل، 1437هـ.

الإنسان ذلك المجهول. كاريل، ألكسيس، ترجمة: عادل شفيق، د.ط، د.م: د.ن، د.ت.

الإنسان يبحث عن المعنى. فرانكل، فيكتور. طبيب نفسي وصاحب مدرسة العلاج بالمعنى، د.ط، د.م: د.ن، د.ت.

بصمة في الخلية. ماير، ستيفن. ترجمة: أسامة إبراهيم، وآلاء حسكي، ومحمد القاضي، ومهند التومي، د.ط، د.م: الدار الدولية للنشر والتوزيع، د.ت.

بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار. آل سعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد. ط1، الرياض: مكتبة الرشد، 2002م.

تاريخ الفكر الأوروبي الحديث. استرومبرج، دونالد. ترجمة: أحمد الشيباني، ط3، مصر: دار القارئ العربي، 1415هـ - 1994م.

تاريخ موجز للزمان من الانفجار الكبير حتى الثقوب السوداء. ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، د.ط، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة جدران المعرفة، 2006م.

تصميم الحياة: اكتشاف علامات الذكاء في النظم البيولوجية. ديمبسكي، د. ويليام؛ وويلز، د. جوناثان. ترجمة: د. موسى إدريس وآخرَين، د.ط، د.م: د.ن، د.ت.

التصميم العظيم اجابات جديدة على أسئلة الكون الكبرى. هوكينج، ستيفن؛ وملودينوو، ليونارد. ترجمة: أيمن أحمد عياد، ط1، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، 2013م.

التّطور نظريّة علمية أم أيديولوجيا؟ يلماز، عرفان. ط1، القاهرة: دار النيل، 1434هـ - 2013م.

التّطور: نظريّة في أزمة. دنتون، مايكل. ترجمة: د. آلاء حسكي، و د. مؤمن الحسن، ومهند التومي، د.ط، د.م: د.ن، د.ت.

التعريفات. الجرجاني، علي بن محمد السيد. تحقيق: محمد سيد المنشاوي، د.ط، القاهرة: دار الفضيلة، د.ت.

ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان. الشهري، عبد الله بن سعد. ط1، بيروت: مركز نما للبحوث والدراسات، 2014م.

الجامع لأحكام القرآن. القرطبي، محمد بن أبي أحمد بن أبي بكر. د.ط، د.م: د.ن، د.ت.

الجائزة الكونيّة الكبرى، لماذا الكون مناسب للحياة؟، ديفيز، بول. ترجمة: د. سعد الدين خرفان، د.ط، دمشق: الهيئة العامة السوريّة للكتاب، 2011م.

الجفوة المفتعلة بين العلم والدين. يوسف، محمد علي. د.ط، د.م: د.ن، د.ت.

الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح. ابن تيمية، الحراني الحنبلي الدمشقي. ط2، السعودية: دار العاصمة، 1419هـ - 1999م.

خديعة التّطور، الانهيار العلمي لنظريّة التّطور وخلفياتها الأيديولوجية. يحي، هارون. ترجمة: سليمان بايبارا، د.ط، د.م: د.ن، د.ت.

خرافة الإلحاد. شريف، د. عمرو. ط1، مصر: مكتبة الشروق الدولية، 1435هـ - 2014م.

درء تعارض العقل والنقل. ابن تيمية، الحراني الحنبلي الدمشقي. تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط2، السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1411هـ - 1991م.

دليل أُكسفورد للفلسفة. ترجمة: نجيب الحصادي، د.ط، ليبيا: المكتب الوطني للبحث والتحرير، د.ت.

الروح. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

سلام على مفترق الطرق. أسد، محمد. ترجمة: عمر فروخ، د.ط، بيروت: دار العلم للملايين، 1987م.

شرح العقيدة الأصفهانية. ابن تيمية، الحراني الحنبلي الدمشقي. ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 1425هـ.

صندوق داروين الأسود: تحدي الكيمياء الحيوية للتطور. بيهي، مايكل. ترجمة: د. مؤمن الحسن، و د. أسامة إبراهيم وآخرون، د.ط، د.م: د.ن، د.ت.

علاقة صفات الله تعالى بذاته. الكردي، راجح عبد الحميد. ط2، د.م: دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، 1409هـ - 1989م.

على أطلال المذهب المادي. وجدي، محمد فريد. ط2، مصر: دائرة معارف القرن العشرين، 1931م.

فتح القدير. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. ط1، دمشق: دار ابن كثير، د.ت.

فطريّة الإيمان، كيف أثبتت التجارب أنّ الأطفال يولدون مؤمنين؟. باريت، د. جونسون. ترجمة: مركز دلائل، د.ط، د.م: د.ن، د.ت.

فكرة داروين الخطيرة. دينيت، دانيال، د.ط، د.م: د.ن، د.ت.

قدر الطبيعة، قوانين الحياة تُفصح عنْ وجود الغاية في الكون. دنتون، مايكل. ترجمة: موسى إدريس وآخرون، تقديم: محمد العوضي، ط1، د.م: مركز براهين، 2006م.

كون من لا شيء. براون، لورانس. ترجمة: غادة الحلواني، ط1، القاهرة: مكتبة الفجر الجديد، منشورات الرمل القاهرة، 2015م.

لغة الإله: العلم يقدم دليلا على الإيمان. كولينز، فرانسيس؛ الفضلي، صلاح، ط1، الكويت: د.ن، 2016م.

الله يتجلى في عصر العلم. نخبة من العلماء الأمريكيين. ترجمة: الدمرداش عبد المجيد سرحان، د.ط، بيروت: دار القلم، د.ت.

مبادئ أولية في الفلسفة. بولتينز، جورج (Georges Politzer)، ترجمة: د. فهيمة شرف الدين، ط5، بيروت: دار الفارابي، د.ت.

مجموع الفتاوى. ابن تيمية، الحراني الحنبلي الدمشقي. جمع: الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، د.ط، الرياض: دار عالم الكتب، 1412هـ.

المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة. الحفني، عبد المنعم، ط3، القاهرة: مكتبة مدبولي، 2000م.

المعجم الفلسفي. صليبا، جميل. د.ط، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982م.

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم الإرادة. ابن قيّم الجوزية، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب. تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، د.ط، د.م: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، د.ت.

المفردات في غريب القرآن. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. د.ط، د.م: مكتبة نزار مصطفى الباز، د.ت.

موسوعة لالاند الفلسفية. لالاند، أندريه. تعريب: خليل أحمد خليل، د.ط، باريس: منشورات عويدات بيوت، د.ت.

موقف الإسلام من نظريّة ماركس للتفسير المادي للتاريخ. العوايشة، أحمد. ط2، عمان الردن: المكتبة الإسلامية، 1984م.

ميليشيا الإلحاد «مدخل لفهم الإلحاد الجديد». العجيري، عبد الله، ط2، السعودية: تكوين للدراسات والأبحاث، 1435هـ - 2014م.

نهاية الإيمان. هاريس، سام، ترجمة: محمد سام العراقي، ط2، 2005م

هنالك إله كيف غيّر أشهَر ملحد رأيه؟ فلو، انتوني. ترجمة: صلاح الفضلي، ط1، الكويت: د.ن، 1436هـ - 2015م.

وهم الإله. دوكينز، ريتشارد. ترجمة: بسام البغدادي، ط2، د.م: د.ن، 2006م.

***